

توحيد الدلالة الصرفية للصيغة الفعلية (أفعل)

الدكتور خلف عايد إبراهيم الجرادات

جامعة جرش، قسم اللغة العربية

المقدمة:

المشكلة التي يدرسها هذا البحث هي تعدد المعاني الصرفية للصيغة الفعلية (أفعل)، إذ تكاثرت في المصنفات اللغوية، فبدأت عند سيبويه بأربعة معانٍ، وانتهت عند أبي حيان الأندلسي بأربعة وعشرين معنًى، وبلغت عند هاشم طه شلاش - من الدارسين المحدثين - ستة وعشرين معنًى.

وقد تداخل كثير من هذه المعاني بعضها ببعض، واختلفت فيما بين المصنفين بعض مُسمياتها، واختلط فيها المعنى المعجمي والدلالي بالمعنى الصرفي.

وحين رددتُ النظر في هذه الصيغة، وأجلّته في معانيها المذكورة، تبين لي أنّ لها معنًى صرفياً واحداً لا تعدوه، ذكره المصنفون فيما ذكروا من معانٍ، ولكنهم لم يروه معنًى رئيساً وحيداً، وهو معنى صرفيٍّ جوهريٍّ في الصيغة، جاء من الزيادة الصرفية فيها، رددتُ كلّ المعاني المذكورة إليه ببسر وسهولة، ذلك هو معنى (الجعل والتصيير).

وحين بدت مخايلُ الصدق على هذا القرض في ذهني، عمدتُ إلى المصنفات اللغوية والنحوية والصرفية وغيرها، وتتبعْتُ مواطن ذكر هذه المعاني بدءاً بسيبويه وانتهاءً بالدراسات الحديثة، وناقشت المعاني المذكورة معنًى معنًى، راداً ما ذُكر من معانٍ وتفرعات إلى المعنى الصرفي الأساسي، وهو الجعل

والتصيير، وسرعان ما ارتاضت المعاني المذكورة لهذا المعنى، وأسلمت قيادها طوعاً إليه.

ثم تعرّضت لي في أثناء البحث مشكلة اتّفاق فَعَلَ وأَفْعَلَ في المعنى في كثير من الأفعال، حتى اختصّ هذه الظاهرة طائفة من العلماء بالمصتقات المستقلة، فوقفْتُ عند هذه المسألة وقوفاً متأنياً؛ فإذا صحَّ ترادفهما فإنه سينقض ما عقدته من فَرَض، ولكنها لم تُصَب ما افترضته بأدّى، إذ لم يفارق المعنى الصرفي الذي رأيتُه في أَفْعَلَ هذه الصيغة، على الرغم من ترادفها مع الثلاثي (فَعَلَ) في كثير من الاستعمال، وقد بيّنت أنّ الأمر يعود إلى مسألة التوسّع الاستعمالي المعهود في جَمْع المقاربات وتوحيدها، فأردف الاستعمال أَفْعَلَ بفعلٍ توسّعاً وجنوحاً إلى قوّة أَفْعَلَ، حتّى كأنّهما في معنًى واحد، في كثير من الأفعال كما أشرت، غير أنّ الدلائل والإشارات كانت قويّة وواضحة في التفريق بينهما أصلاً.

لقد تتبعت في هذا البحث تكاثر المعاني الصرفيّة لأَفْعَلَ في الدراسات القديمة والحديثة التي سبقنتي، وحاولت توحيد المعنى الصرفي وإبرازه في أثناء ذلك، ولمن تقدّمني الفضل في حصر الشواهد والأمثلة وتقريب المعاني، وإنّما عمدة جهدي أنّي نظرت فيما وقروا من شواهد وأدلة، واستنبطوا من معانٍ فدرستها وتفحصتها وقارنت فيما بينها ساعياً إلى توحيد المعنى الصرفي الذي اجتهدوا هم في تعديده وتكثيره، وتحقيقاً لهذا المراد فقد قسّمت الدراسة على المباحث الآتية: القدماء وتكثير معاني أَفْعَلَ، ثم المحدثين ومعاني أَفْعَلَ، ثم أفردت مبحثاً ناقشت فيه ترادف فَعَلَ وأَفْعَلَ، ضمّنته طائفة من الأفعال التي استعمل فيها فَعَلَ وأَفْعَلَ بمعنى واحد، ساعياً إلى نفي الترادف المزعوم، ثم ختمت الدراسة بمبحث جعلت عنوانه: المعنى الصرفي لصيغة (أَفْعَلَ) هو الجعل والصيرورة ليس غير.

اسأل الله عزّ وجل أن يهديني سواء السبيل، وأن يغفر لي زلّتي والحمد لله أولاً وآخراً.

١. القدماء وتكثير معاني أَفْعَلْ:

لا تكاد تقف على مصنف يذكر معاني (أَفْعَلْ) إلا ويعدُّ لها من المعاني ما شاء الله له أن يعدَّ. ولقد نظرت في أغلب المصنَّفات النحوية التي وقَّفتُ على صيغة (أَفْعَلْ) ومعانيها الصرفية، بدءًا بكتاب سيبويه وانتهاءً بالدراسات الحديثة، ووجدتها قد اتفقت إجماعًا على أن لهذه الصيغة معاني صرفية عديدة، تكثر في بعض المصنَّفات وتقلُّ في أخرى.

فقد وقف سيبويه (١٨٠هـ، ٧٩٦م على الأرجح) على أربعة معانٍ، وبلغت عند أبي حيَّان الأندلسي (٧٤٥هـ، ١٣٤٤م) أربعةً وعشرين معنًى، وما بين عدَّة سيبويه وعدَّة أبي حيَّان تفاوت النحاة واللغويون في إثبات معانٍ وزيادة آخر، لكنهم لم يختلفوا جميعًا في تعديد المعاني وإن اختلفوا في العدد إلى أن بلغت ما بلغت إليه.

وقد كاد سيبويه أن يوحد الدلالة الصرفية لهذه الصيغة حين عقد باباً في كتابه، وهو (باب افتراق فَعَلْتَ وأَفْعَلْتَ في الفعل للمعنى)^(١)، وشرع يعرض الأمثلة للتفريق بين فَعَلَ وأَفْعَلَ، قال: "تقول: دَخَلَ وخَرَجَ وجَلَسَ فإذا أخبرت أن غيره صيره إلى شيء من هذا قلت: أَخْرَجْته، وأدْخَلْته وأجْلَسْته"^(٢).

والحقيقة أن سيبويه ظفر هنا بمعنى (أَفْعَلْ) الصرفي، وهو المعنى الأساسي الذي تمتاز به عن الثلاثي (فَعَلَ)، وهو المعنى الذي لا يفارقها في كلِّ المعاني الأخرى التي صرفوها إليها. وهذا المعنى هو الذي ترجمه النحاة لاحقاً واستقرَّ على

(١) انظر: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان (ت ١٨٠هـ، ٧٩٦م)، الكتاب، ٥ أجزاء، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٩٨٨م، ج٤، ص ٥٥.

(٢) انظر: السابق.

مصطلح التعدية أو النقل، وإن كانت التعدية أو النقل ليست معنى صرفياً، وإنما هي نتيجة للمعنى الصرفي الذي يفهم من عبارة سيبويه السابقة.

وقد عزز سيبويه أمثله بقوله: "فأكثر ما يكون على فعل إذا أردت أن غيره أدخله في ذلك يُبنى الفعل منه على أَفَعَلْتُ"^(١)، وهذا هو بيت القصيد في معنى (أَفَعَلَ) أو معانيها التي عددها النحاة. ولما رأى سيبويه أن التعدية قد تكون بِ(أَفَعَلَ) أو بدونه، طَفِقَ يُفَرِّق بين التعديتين؛ إذ فَرَّقَ تَفْرِيقاً دَقِيقاً بين أن يكون الفعل متعدياً بنفسه وهو ثلاثي غير مزيد وأن يكون متعدياً بِ(أَفَعَلَ)، نحو: طردته وأطردته، وفتنته وأفتنته، وحزنته وأحزنته، قال: "وأما طردته فتحيته، وأطردته: جعلته طريداً هارباً"^(٢)، ونقل عن الخليل: "أنك حيث قلت فتنته وحزنته لم تُرد أن تقول: جعلته حزيناً وجعلته فاتناً كما أنك حين قلت: أدخلته أردت جعلته داخلاً، ولكنك أردت أن تقول: جعلت فيه حزناً وفتنةً، فقلت فتنته كما قلت كحلته، أي جعلت فيه كحلاً"^(٣)، ومن الواضح في هذين النصين أن الفرق بين الأفعال المذكورة - ثلاثية على (فَعَلَ) ومزيدة على (أَفَعَلَ) - ليس في التعدية؛ فكلاهما متعد، وإنما الفرق في معنى الجعل والتصيير الذي داخل صيغة أَفَعَلَ، وهو ما يؤكد عندي أن هذا هو معناها الصرفي ليس التعدية، وما التعدية التي في أَفَعَلَ إن أفادتها إلا نتيجة لذلك المعنى الصرفي، وهي ليست نتيجة حتمية عامة في كل الأفعال، ولكنها في بعضها، فقد تقع بعض الأفعال في صيغة أَفَعَلَ وتبقى لازمة كأسرع وأبطأ مثلاً ذكر هذا سيبويه، غير أن معنى الجعل والصيرورة لا ينفك عن مثل هذه الأفعال ما جاءت على أَفَعَلَ.

(١) انظر: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان (ت ١٨٠ هـ، ٧٩٦م)، الكتاب، ٥ أجزاء، تحقيق

عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٩٨٨م، ج٤، ص٥٥.

(٢) انظر: السابق ج٤، ص٥٦.

(٣) السابق.

يُزاد على ذلك أَنَّ التعدية في أَفْعَلَ طارئة وحادثة حدوث الزيادة التي هي همزة الصيغة، إِلَّا أَنَّ الهمزة المزيدة ليست هي المسبَّب المباشر للتعدية ولكنَّ المسبَّب للتعدية هو المعنى الصرفي الذي جاءت به هذه الزيادة، وهو معنى الجعل والتصيير كما ذكرت. فلا يترتَّب على دخول الهمزة تعدية إِلَّا إذا وقع معنى الجعل والتصيير على الفاعل، وجعلَه مفعولاً وهو ما سمَّاه القدماء النقل رديفاً لمعنى التعدية^(١)، فلا يُفيد دخول الهمزة على إطلاقه تعديةً ما لم يكن مقترناً بذلك المعنى، يؤيد ذلك ما ذكرت من دخول الهمزة على أفعال من دون أن تؤدي إلى تعديتها، وكذلك إفادة التعدية من طرق صرفية أخرى مثل صيغة (فَعَلَ) إن أفادت معنى الجعل أو النقل المشار إليه.

وخلاصة ما تقدَّم أَنَّ المعنى الصرفي الأساسي لأَفْعَلَ هو الجعل والتصيير، وما التعدية إِلَّا مسألة نحوية جاءت نتيجة لذلك المعنى في حالات خاصة كما وضَّحتُ.

ولكنَّ سيبويه لم يقف عند المعنى الرئيسي الذي أوشك أن يرسمه (لأَفْعَلَ) بل استطرد ذاكرًا لها معاني أخرى، وهي كما أراها معانٍ فرعية واستعمالات للمعنى الرئيسي لا معانٍ صرفية مستقلة، فمن المعاني التي ذكرها (لأَفْعَلَ) الدعاء؛ إذ

(١) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢ هـ، ١٠٠١ م)، المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، جزء واحد، دار إحياء التراث القديم، الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م، ص ٢٦٠. وانظر: أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (٣٦٨ هـ، ٩٧٨ م)، شرح كتاب سيبويه، ٥ أجزاء، تحقيق أحمد حسن مهدي، علي سيّد علي، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٨ م، ج ٤، ص ٤٣٦.

قاسَ أسقيته على سقيته ورعيته، أي قلت له: سقاك الله ورعاك الله، أي أن معنى أسقيته: دعوتُ له بالسقيا، واستشهد على ذلك بقول ذي الرمة^(١): [الطويل]

وقفت على ربع لمية ناقتي فما زلت أبكي حوله وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد ممّا أبثّه تكلمني أحجاره وملاعبه

وعلى الرغم من أن عبارة سيبويه غير قاطعة في اعتبار هذا المعنى لأفعل إلا أنني لا أوافقه ولا من تابعه من النحاة في أن المعنى الصرفي لِـ(أسقيه) هنا هو الدعاء؛ إذ لم يفارقها معنى الجعل والصيرورة؛ لأنها تعني صرفياً - هنا - أجعله مسقياً دعاءً وتضرعاً، غير أن مجموع الدلالة تدلُّ على أن السقيا كانت دعاءً.

وقد قال سيبويه نفسه في فقرة لاحقة حاملاً سقيته وأسقيته على قبرته وأقبرته، قال: "وسقيته فشرب وأسقيته: جعلت له ماءً وسقياً"^(٢)، مثل قبرته: دفنته، وأقبرته: جعلت له قبراً، وهذا هو المعنى الصرفي، وهو الجعل كما قدّمت.

ونذكر من معاني أفعل أن تُعرضه لأمرٍ، نحو: أفلّته: أي عرضته للقتل، ويُقال فيه ما قيل في سابقه، من أن معناه الصرفي الجعل والصيرورة، فأفلّته: أي جعلته معرضاً للقتل، أو في سبب منه.

(١) انظر: سيبويه، الكتاب ج ٤، ص ٥٨، ٥٩، وانظر: أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي (ت ٢٣١هـ، ٨٤٥م)، شرح ديوان ذي الرمة غيلان بن عقبة، رواية الإمام أبي العباس ثعلب، ٣ أجزاء، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، ط ١، بيروت، ١٩٨٢م، ج ٢، ص ٨٢١.

(٢) سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٥٩.

ونذكر من معانيها الصيرورة، نحو: أَجْرَبَ الرجلَ وَأَنْحَزَ وَأَلَامَ الرجلَ أي صار صاحبَ جَرَبٍ وَجِيَالٍ وَنِحَازٍ وصاحب لائمة^(١). وهذا هو المعنى الصرفي الأساسي لهذه الصيغة غير أنهم جعلوه جنباً إلى جنب مع معانٍ أُخَر.

وقد حمل سيبويه على معنى الصيرورة قولهم: أَسْمَنْتُ وَأَكْرَمْتُ فاربط، والأمت^(٢)، وهو ما جعله النحاة بعد ذلك معنى مستقلاً بمعنى وجدته على صفة، أي وجدته سميئاً وكراماً ولثيماً، ومراد سيبويه أن أَسْمَنْتُ وأَكْرَمْتُ: أي صرت صاحب سِمان وكرام من الإبل؛ لأنه شبه ذلك بأجرب الرجل وأنحز، ومذهبه هذا يختلف عما عدّه النحاة على معنى وجدته على صفة، ثم ذكر نحو: "أَصْرَمَ النخل، وأْمَضَغَ، وأَحْصَدَ، وأَجَزَّ النخل"^(٣)، وحمله على معنى الصيرورة الذي تقدّم في الأمثلة السابقة، غير أنه فسّر الصيرورة في مثل هذا على أنه قد استحقّ أن تُفعلَ به هذه الأشياء، ومما يدلّ على أنه لم يبتعد عن معنى الصيرورة في هذا المعنى أنه ذكر أنفاً أن أَلَامَ: صار صاحب لائمة، وهنا فسّر الاستحقاق في النخل والزرع بقوله: أي استحقّ أن تُفعلَ به هذه الأشياء، كما استحقّ الرجل أن تلومه^(٤). فالاستحقاق من أَوْجَه الصيرورة، أو أن الاستحقاق هو صيرورة، وهو قريب مما جعله بعض النحاة فيما بعد دخولاً في الوقت: أي دخل في وقت الصرَم والجَزّ، والحَصْد، والدخول هذا لا يختلف عن الصيرورة إلّا في العبارة، أي صارت إلى هذه الحال أو في هذه الحال.

(١) سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٥٩.

(٢) انظر: السابق، ج ٤، ص ٦٠، أي وجدت سميئاً أو كريماً من الإبل أو الخيل فتمسك به واقتته، والأمت: وجدت صاحباً لثيماً.

(٣) سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٦٠.

(٤) انظر: السابق.

وقد أكد هذا المعنى واستحثه في قولهم: (أَحْمَدْتُهُ)، أي وجدته مستحقاً للحمد منّي؛ إذ فسّر ذلك بقوله: إنّما تريد أنّك استبنته محموداً كما أنّ أقطع النخل استحقّ القطع، ويكون الأمر على ذلك أنّ المعنى الصرفي الأساسي هو الصيرورة إلى الحمد، وليس أنّك وجدته على هذه الصفة هو الأولى. وعلى هذا فإنّ سيبويه يحمل هذا المعنى على معنى المصير وليس على معنى جديد كما ذهب تابعوه لاحقاً، فكانَ أَحْمَدْتُهُ: صار إلى منزلة الحمد عندي، بدليل حمله هذا المعنى على معنى أقطع النخل كما تقدّم.

ومما يجعلني مطمئناً إلى أنّ معنى الصيرورة كان متجلياً في ذهن سيبويه أنّه فرّق بين أفعال، منها: أرابني ورابني تفريقاً دقيقاً بين معنييهما على فَعَلَ وأَفْعَلَ، إذ ذهب إلى أنّ (أراب) فيه صيرورة جاءت من الزيادة على حين أنّ (رابني): جعل لي ربيةً، وهو معنى معجمي متضمّن في الفعل من غير أن يكون مزيداً.

ومما يدلّ على حضور معنى التصيير والجعل في ذهن سيبويه أنّه حمل (أَدْنَف) على (أَصْبَحْنَا وَأَمْسَيْنَا، وَأَسْحَرْنَا)، وقد نصّ بعض النحاة فيما بعد على معنى الصيرورة فيه، قال الرضي: "دخل في الدَنْف" ^(١)، وقال ابن عاشور: "أي صار في حال الدنف، وهو راجع إلى كون الهمزة للصيرورة" ^(٢).

(١) انظر: رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي (٦٨٦هـ، ١٢٨٧م)، شرح شافية ابن الحاجب، ٤ ج، تحقيق محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م. ج ١، ص ٩٠.

(٢) انظر: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م)، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، ٣٠ ج، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤م، ج ٢٣، ص ١٤٤.

وقال سيبويه وهو يفرّق بين فَعَلَ وأَفْعَلَ: "غَفَلْتُ: أي صرت غافلاً، وأَغْفَلْتُ: إذا أخبرت أنّك تركت شيئاً ووصلت غفلتك إليه، وإن شئت قلت: غَفَلَ عنه، فاجتزأت بعنه عن أغفلته"^(١)، ومن البين أنّه يريد التعدية هنا في التفريق بين فَعَلَ وأَفْعَلَ، ولذلك لا يُحْمَلُ قوله "غفلت: أي صرت غافلاً" على الصيرورة الحقيقية أو الجعل الذي هو في أَفْعَلَ، مثل: أغفل، أي جعل الأمر والشيء مُغْفَلاً. والأمر نفسه يُقال فيما ذكره سيبويه من فرق بين بَصَرَ وأَبْصَرَ "بَصَرَ وما كان بصيراً، وأَبْصَرَهُ إذا أخبر بالذي وقعت رؤيته عليه"^(٢)، فبصر فعل ذاتي وإن حمل معنى الصيرورة أي صار بصيراً، ولكنها على غير معنى الصيرورة والجعل في (أَبْصَرَ): أي أَبْصَرَهُ: جعله مبصراً، أو وصل البصر إليه كما فسّر ذلك سيبويه: (صار مبصراً).

وبناءً على ما سبق يكون سيبويه قد حمَلَ أَفْعَلَ المعاني الآتية: الجعل، والدعاء، والتعريض، والصيرورة.

وتبع أبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤ هـ، ٨٣٨ م) سيبويه بالوقوف على معاني صيغة أَفْعَلَ، وبعض معانيها التي جاءت عند سيبويه، مثل معنى الجعل والصيرورة الذي تجلّى عنده في الأمثلة الوافرة التي أوردها وأحصاها، ومثل معنى التعدية بأَفْعَلَ. غير أنّه أضاف معنًى قائماً بنفسه وهو موافقة الشيء على صفة، قال: "باب أَفْعَلْتُ الرجل وغيره، إذا وجدته كذلك"^(٣)، وهو المعنى الذي أشار إليه سيبويه في مثل: أَحْمَدْتَهُ، أي وجدته مستحقاً للحمد مني.

(١) سيبويه، الكتاب ج ٤، ص ٦١.

(٢) السابق: ج ٤، ص ٦٢.

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ، ٨٣٨ م)، الغريب المصنف، جزءان، تحقيق: د. محمد المختار العبيدي، المجمع التونسي للأدب والعلوم والفنون، دار سحنون للنشر والتوزيع، ط ٢، تونس، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٥٩٦.

أما معنى الجعل والصرورة، فيكاد يكون مستأثراً بجميع الأمثلة التي ذكرها في باب: "أَفْعَلَ القوم فهم مُفْعَلُونَ"^(١)، وقد اختلط فيه أَفْعَلَ من الجامد بأَفْعَلَ من غير الجامد، نحو: أَلَحَمَ القوم وأشَحَمُوا: إذا كَثُرَ اللحم عندهم والشحم، ومعنى الصيرورة صرفياً في هذا لا يحتاج إلى دليل، ومثله: أَثْمَرُوا وأَلْبَنُوا من اللبن والتمر، وأَجْمَلُوا كَثُرَتْ جِمالُهم، وأَغَرَزُوا: غَرَزَتْ إبلُهم، وإن التقط بعضهم عبارة المصنّف (أبي عبيد القاسم بن سلام) السابقة وهي: كثر عندهم اللحم والشحم، وجعل ذلك معنًى مستقلاً لأَفْعَلَ في مثل هذا^(٢)، هو الدلالة على الكثرة.

ولكنني أخالفهم في أَنَّ الكثرة ليست معنًى صرفياً، ولكنها دلالة مستفادة من الصيرورة التي هي المعنى الصرفي، فكونهم صاروا أصحابَ لحم وشحم فهذا يدلُّ على الكثرة، كما في لَابِنٍ وتَامِرٍ؛ فإنَّها صرفياً أسماء فاعلين، ولكنها تدلُّ على النسبة التي قد تُوْدِي إلى معنى الكثرة، فلولا كثرة الشيء عنده، وشهرته به ما نُسِبَ إليه. ومما يعزِّز هذا عندي أَنَّ أبا عبيد القاسم بن سلام نفسه أورد مجموعة من الأفعال، مثل: أَكَيْسَ الرجل إذا وُلِدَ له وَلَدٌ كَيْسٌ، وَأَسَادَ وَأَسَوَدَ من سواد لون الولد، وكذلك من الحُمرة والصُّهبة والشُّهبة والبَلَق والظَّرَف والكَرَم، ومن البياض

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ، ٨٣٨ م)، الغريب المصنّف، جزءان، تحقيق: د. محمد المختار العبيدي، المجمع التونسي للأدب والعلوم والفنون، دار سحنون للنشر والتوزيع، ط ٢، تونس، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٥٨٦، وما بعدها.

(٢) انظر: أبو محمد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ، ٨٨٩م) أدب الكاتب، جزء واحد، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بلا تاريخ نشر، ص ٤٤٩. أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت ٣٥٠هـ، ٩٦١ م)، معجم ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار عمر، مراجعة إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م، ج ٢، ص ٣٢٩. أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ، ١٣٤٤ م)، البحر المحيط في التفسير، ٨ أجزاء، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص ٤٦.

أَوْضَحَ^(١)... فهذه الأمثلة وغيرها إنما يجمعها معنى الصيرورة، وكان القياس أن يُقال عن معناها: الصفة أو اللون قياساً على معنى الكثرة الذي ذكره سابقاً، ولكننا لا نجد أحداً ذكر هذا المعنى، اكتفاءً بمعنى الصيرورة الذي يفهم دلالةً من أمثلتهم.

ومن الأمثلة الكثيرة التي ذكرها: أَوْعَثَ القوم: أخذوا في الوعثة، وأزعدوا وأبرقوا وأغيموا: أصابهم رعدٌ وبرقٌ وغيمٌ، وهذا كله صيرورة: أي صاروا في وعثة، وصاروا في رعدٍ وبرقٍ وغيمٍ، وقد أشدَّ القوم وأخفوا وأنشطوا وأبطؤوا وأسرعوا وأبلدوا: إذا كانت دوابهم شداداً، وخفافاً ونشيطة وقطفاً وبطاءً وسريعاً وبليدةً، والحقيقة أنَّ عبارة سيبويه في مثل هذا أدق؛ لأنه ذكر المُقْطِف حين كان يتحدث عن معنى الصيرورة، فالأدقُّ ألا يُقال: كانت دوابهم كذا، ولكن صارت دوابهم كذا...، ولم يفنّه هذا في مثل: أكَشَفَ القوم؛ إذ فسره بقوله: صارت إبلهم كُشُفًا.

وقد فرّق تفریقاً دقيقاً يكشف عن معنى الصيرورة في أَفْعَلَ حين ذكر أنَّ "أَشْمَلُوا من ریح الشمال إذا دخلوا فيها، فإذا أراد أنها أصابتهم قيل: فَعِلُوا فهم مفعولون، وكذلك الجنوب والدُّبُور والصَّبَا"^(٢)، فَشْمَلُوا وَجُنِبُوا: أصابتهم هذه الریح، وَأَشْمَلُوا وَاجْتَنَبُوا: دخلوا فيهما، وليس في هذا الفرق إلا معنى الصيرورة الذي في أَفْعَلَ، أي صاروا في ریح الجنوب وریح الشمال. والأمثلة أكثر من أن تُحصى في هذا الباب، وفي دلالة أَفْعَلَ الصريحة على الصيرورة.

ثم أردف هذا الباب ببابٍ آخر^(٣)، لا يختلف عن سابقه في تأكيد معنى الجعل والصيرورة في أَفْعَلَ، غير أنه جعله لأفْعَلَ الشيء فهو مُفْعِلٌ ومُفْعَلَةٌ، وجَلَّ

(١) انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، الغريب المصنّف، ج ١، ص ٥٨٧.

(٢) السابق: ص ٥٨٨.

(٣) انظر السابق: ص ٥٩٠-٥٩٢.

أَمْثَلْتَهُ مِنْ أَفْعَلَ اللَّازِمِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الصِّيْرُورَةِ، نَحْوُ: أَمْنَحَتِ النَّاقَةُ فَهِيَ مُنَحٍ إِذَا دَنَا نَتَاجِهَا، وَأَمَاتَتْ فَهِيَ مَمِيتٌ وَمَمِيتَةٌ إِذَا مَاتَ وَلَدُهَا، وَأَفَاقَتْ فَهِيَ مُفِيقٌ وَمُفِيقَةٌ إِذَا دَرَ لَبْنُهَا، وَأَقْرَبَتْ وَأَتَمَّتْ: دَنَا نَتَاجِهَا، وَبِمَضِيِّ عَلَى هَذَا النُّحُوِّ الَّذِي يَكْشِفُ عَنْ أَصَالَةِ مَعْنَى الصِّيْرُورَةِ فِي صَيَغَةِ أَفْعَلَ وَاطَّرَادِهِ.

وعقد باباً آخر بعنوان (أَفْعَلَ الشَّيْءَ وَفَعَلْتُهُ)^(١) لم يتعرَّض فيه لمعنى أَفْعَلَ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ مَا جَاءَ مِنْ أَفْعَلَ لِأَزْمَاءٍ، وَفَعَلَ مُتَعَدِّياً، نَحْوُ: أَنْزَفْتُ الْبُئْرَ إِذَا ذَهَبَ مَآوُهَا وَنَزَفْتُهَا أَنَا، وَأَفْشَعُ الْغَيْمَ وَقَشَعْتُهُ الرِّيحُ، وَأَنْسَلَ رِيْشَ الطَّائِرِ... وَنَسَلْتُهُ أَنَا. وَلَكِنْ هَذِهِ الْأَمْثَلَةُ تُوَيِّدُ وَتَعَزِّزُ مَعْنَى الصِّيْرُورَةِ فِي أَفْعَلَ، فَمَعْنَى الصِّيْرُورَةِ فِي أَفْعَلَ أَغْنَى عَنْ تَعْدِيَّتِهِ الَّتِي أَحْتَاجُهَا الثَّلَاثِيُّ فَعَلَ؛ لِأَنَّ مَعْنَى أَنْزَفَ: صَارَ نَازِقاً، وَأَفْشَعَ: صَارَ مُفْشِعاً^(٢)، وَإِذَا قُلْنَا: أَنْزَفْتُهَا أَوْ أَفْشَعْتُ الرِّيحَ الْغَيْمَ، فَقَدْ جِئْنَا بِمَعْنَى الصِّيْرُورَةِ عَنْ طَرِيقِ التَّعْدِيَةِ. وَيُوَيِّدُ ذَلِكَ الْبَابُ الْلَاخِقُ الَّذِي جَعَلَهُ (لَأَفْعَلْتُ الشَّيْءَ وَفَعَلْتُ بِهِ)^(٣)؛ إِذْ يُقَابَلُ بَيْنَ تَعْدِيَةِ الثَّلَاثِيِّ فَعَلَ بِحَرْفِ الْجَرِّ وَتَعْدِيَةِ أَفْعَلَ بِنَفْسِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ التَّعْدِيَةَ فِي أَفْعَلَ نَتِيجَةُ لِمَعْنَى الصِّيْرُورَةِ الصَّرْفِيِّ. وَمِنْ أَمْثَلَةِ الْبَابِ الَّتِي ذَكَرَهَا: شَالَتْ النَّاقَةُ بِذَنْبِهَا وَأَشَالَتْ ذَنْبَهَا، وَذَهَبَتْ بِالشَّيْءِ وَأَذْهَبْتَهُ، وَخَرَجْتُ بِهِ وَأَخْرَجْتُهُ.

أَمَّا الْمَعْنَى الَّذِي زَادَهُ لِأَفْعَلَ فَهُوَ الَّذِي عَقَدَ لَهُ بَابَ (أَفْعَلْتُ الرَّجُلَ وَغَيْرَهُ إِذَا وَجَدْتَهُ كَذَلِكَ)^(٤)، وَهُوَ كَمَا أَشْرَحْتُ مُفَادَ مِنْ إِشَارَةِ سَيَبَوِيهِ فِي مِثْلِ أَحْمَدْتَهُ: وَجَدْتَهُ مُسْتَحَقّاً الْحَمْدِ مَنِّي، غَيْرَ أَنَّ سَيَبَوِيهِ ذَكَرَهُ فِي مَعْنَى الصِّيْرُورَةِ كَمَا وَضَّحْتُ ذَلِكَ

(١) انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، الغريب المصنف، ج ١، ص ٥٩٤.

(٢) انظر: موفق الدين يعيش بن علي ابن يعيش (٦٤٣هـ، ١٢٤٥م)، شرح المفصل، ١٠ ج، عالم الكتب، بيروت، ج ٧، ص ١٥٩.

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام، الغريب المصنف، ج ١، ص ٥٩٥.

(٤) السابق، ص ٥٩٦.

سابقاً^(١)، وجَعَلَه هذا معنًى مستقلاً اقتفى أثره فيه كثيرٌ ممّن ذكروا معاني أَفْعَلَ، ومن أمثلته على هذا الباب: وَعَدَنِي الرَّجُلُ فَأَخْلَفْتَهُ، أي وجدته قد أخلفني، وحمل عليه قول الأعشى: [الكامل]

أَثْوَى وَقَصَرَ لَيْلَةً لِيُرْوَدَا فَمَضَتْ وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدَا^(٢)

أي وافق منها خُلُفًا^(٣).

ويبدو لي أنّ الأَوْجَةَ في هذا المعنى ما ذكره سيبويه في مثل أَحْمَدْتُهُ، إذ حمّله على أَقْطَعَ النَّخْلُ، فأحمدته: صار إلى الحمد فاستتبنته على ذلك. وفي الشاهد: صار الموعد إلى الخُلف فوافقه على ذلك، فالمعنى الصرفي الأساسي هو الصيرورة إلى هذه الصفة التي وافقه عليها لا أنك وجدته على تلك الصفة. ويؤجّه عليه ما رواه الأصمعي: أتينا الأرض فأحييناها، قال: وجدناها حيّة النبات غَضَّتْهُ، وأوحشناها وجدناها وَحْشَةً^(٤)، فالأصل في هذا: وجدناها قد صارت إلى الحياة، وقد صارت إلى الوحشة، ووافقناها أو صادفناها على ذلك، فلو كان المراد وجدناها على تلك الصفة لاكتفوا بقولهم وجدناها حيّةً، ووجدناها موحشة، ولكن صيغة أَفْعَلَ من ذلك تدلّ على مصادفتها على صفة صارت إليها. ومما يعرّز ذلك أنّهم استشهدوا على هذا المعنى بقول رؤية: [الرجز]

حَتَّى إِذَا مَا أَصْفَرَ حُجْرَانِ الذَّرَقِ وَأَهْيَجَ الْخُلُصَاءُ مِنْ ذَاتِ الْبُرُقِ^(٥)

(١) انظر: الصفحة ٢٤، ٢٥ من هذا البحث.

(٢) انظر: ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح وتعليق: محمد حسين، مكتبة الآداب، ص ٢٢٧.

(٣) انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، الغريب المصنّف، ج ١، ص ٥٩٦.

(٤) السابق نفسه.

(٥) ولیم بن الورد البروسي (١٣٢٧هـ، ١٩٠٩م)، مجموع أشعار العرب، وهو مشتمل على ديوان رؤية

بن العجاج، وعلى أبيات مفردة منسوبة إليه، دار ابن قتيبة، الكويت، ص ١٠٥.

فسياق الكلام يدلّ دلالة واضحة على أنّ (أهيجَ الخُلصاء) - وهو بلد بالدهناء معروف^(١) - أي صادف أو استبان أو وافق الخُلصاء قد صارت مهيجةً، لأن السياق يصف حُمزًا وحشية قد تغيّر عليها المكان وتبدّل، فالهياج المذكور لم يكن صفة ثابتة وجد المكان عليها، وإنما استبان أنّ المكان قد صار إليها، بدليل اصفّر التي قبلها، وهي تدلّ على التحوّل أو الصيرورة إلى هذا اللون، وقد أصاب سيبويه حين حمل أحمّته (استبنته محمودًا) على أقطّع النخل بمعنى صار إلى الإقطاع، أو دخل هذه المرحلة.

وقد توارد كثيرٌ من النحويين واللغويين على ذكر هذا المعنى مكتفين بأنّه وجده على صفة، أو صادفه كذلك، ولم يلتفتوا إلى معنى الصيرورة كما التفت سيبويه، ولولا معنى الصيرورة أو المصادفة على تلك الصيرورة لما نُجِّسَ هذا التركيب غير المألوف؛ لأن المتبادر في أهيجَ الخُلصاء أي جعلها هائجة، وأخلف موعدها: أي جعله مُخلفًا.

وجاء ابن قتيبة (٢٧٦ هـ، ٨٨٩ م) في (أدب الكاتب) بعد سيبويه وأبي القاسم فذكر شيئًا ممّا ذكروا غير أنّه فرّع معنى الصيرورة الذي تقدّم عند سيبويه، وجعل منه باب (أفعلَ الشيء حان منه ذلك) مستخرجًا معنى جديدًا وهو الحينونة، كقولهم: أَرْكَبَ الْمُهْزِرُ، وَأَحْصَدَ الزَّرْعُ، وَأَقْطَفَ الْكَرْمُ، وَأَقْطَفَ الْقَوْمُ: حان أن يقطفوا كرومهم^(٢)، ولا يخفى أن المعنى الصرفي الحقيقي لكلّ ذلك هو الصيرورة، وإن كان بعضها صيرورةً زمنيةً، أي الدخول في وقت الحصاد والقطاف، أو مرحلة الحصاد ومرحلة القطاف، فالحينونة معنى مُفَاد من المعنى الصرفي الصيرورة، والدليل على ذلك سائر الأمثلة التي ذكرها في هذا الباب، مثل: أَقْطَفَ الْقَوْمُ: حان أن يقطفوا كرومهم، فليس إقطافهم حينونة، ولكنّه مصيرهم إلى هذا الأمر، ومثله:

(١) انظر: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، ٥ مجلدات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ٣٨٢/٢. وقيل في موقعه غير ذلك وما أثبتّه هو المرجّح.

(٢) انظر: ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٤٤٨.

أَجْزَرُوا، وَأَجْدُوا، وَأَعْلُوا^(١)، ومثله أُنْتَجَتِ الخيلُ، قال: حان نِتَاجُهَا، والأدق أنها صارت إلى النِتاج، وأَفْصَحَ النصارى، قال: حان فَصْحُهُم، والصحيح أنهم صاروا أو دخلوا إلى فصحهم، وأشْهَرَ القومُ، قال: أتى عليهم شهر، وليس هذا حينونة، ولكنهم صاروا إلى شهر، أو صاروا ذوي شهر في عدِّ أيامهم، ومثله أَحَالَ القومُ، قال: أتى عليهم حَوْلٌ، والصحيح صاروا إلى حَوْلٍ.^(٢)

ومن المعاني التي فَرَعَهَا على الصيرورة باب (أَفْعَلَ الشيءُ: صار كذلك وأصابه ذلك)^(٣)، وقد خلط في هذا الباب معنى الإصابة بمعنى الصيرورة، كقوله: أَصَحَّ: صارت الصَّحَّةُ في ماله، وأسَنَّتْ: أصابته السنَّةُ، وأقحط وأَيْسَ إذا أصابه القحط والَيْسَ...

وغير خافٍ أنه لا فرق في المعنى الصرفي بينها جميعاً وأنها تدلُّ على الصيرورة كما أوَّلَهَا في بعض الأمثلة.

ومن المعاني التي فَرَعَهَا على الصيرورة أيضاً باب (أَفْعَلَ الشيءُ: أتى بذلك، واتَّخَذَ ذلكُ)^(٤)، نحو: أَحَسَّ الرجلُ: أتى بخسيس من الفعل، وأَدَمَ: أتى بما يُذَمُّ، وأَقْبَحَ أتى بقبيح، وأَلَامَ: أتى بما يُلام، وكلُّ ما تقدَّم صيرورة، ومعنى الصيرورة فيها أَوْجَهُ وأشْمَلُ.

(١) انظر: ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٤٤٨.

(٢) انظر: الرضي الاسترأبادي، شرح الشافية، ج ١، ص ٩٠.

(٣) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٤٤٨.

(٤) السابق: ص ٤٥٠.

وَأُتْلِدَ: اتَّخَذَ تِلَادًا مِنَ الْمَالِ، وَلَمْ يَذْكَرْ إِلَّا هَذَا الْمَثَالَ عَلَى الْإِتِّخَاذِ، وَلَعَلَّهُ عَزَّزَهُ بِقَوْلِهِ: وَأَهْرَبَ الرَّجُلُ: إِذَا جَدَّ فِي الذَّهَابِ مَذْعُورًا، فَكَأَنَّهُ لَمَحَ فِيهِ مَعْنَى الْإِتِّخَاذِ، وَلَكِنْ كُلُّ ذَلِكَ إِلَى الصِّيْرُورَةِ أَقْرَبُ، فَأُتْلِدَ: صَارَ مُتْلِدًا، وَأَهْرَبَ: صَارَ إِلَى الْهَرَبِ^(١).

وتوارد النحاة واللغويون على هذه المعاني إلا أنَّ بعضهم كان يُلمح إلى معنى الصِّيْرُورَةِ والجعل الملائم لأفْعَلَ، كابن درستويه^(٢)، وابن سيده الذي ذكر في (المخصَّص) أنَّ أَفْعَلَ تُسْتَعْمَلُ إِنْ أُرِدَتْ أَنَّ غَيْرَهُ صِيَّرَهُ إِلَى شَيْءٍ^(٣)، وهذا نصٌّ على معنى الصِّيْرُورَةِ عَلَى أَنَّهُ مَعْنَى أُسَاسِيٍّ فِيهَا.

وقد أضاف الزمخشريّ (٥٣٨ هـ، ١١٤٣ م) عبارةً بَيَّنَّتْ وَجْهَ الْجَعْلِ والصِّيْرُورَةِ فِي مَعْنَى التَّعْرِيزِ فِي أَفْعَلَ، بِقَوْلِهِ حِينَ عَدَّدَ مَعَانِيَ أَفْعَلَ: "وَأَنَّ يُجْعَلَ بِسَبَبٍ مِنْهُ نَحْوُ أَقْتُلْتُهُ وَأَبْعَثُهُ"^(٤) غَيْرَ أَنَّهُ أَضَافَ مَعْنَى السَّلْبِ أَيْضًا، نَحْوَ أَشْكَيْتُهُ وَأَعْجَمْتُ الْكِتَابَ إِذَا أُرْزِلَتِ الشَّكَايَةُ وَالْعُجْمَةُ عَنْهُ، وَهُوَ مِنَ التَّضَادِّ فِي أَفْعَلَ، أَشَارَ إِلَيْهِ غَيْرَ وَاحِدٍ، فَأَشْكَيْتُهُ: جَعَلْتُهُ شَاكِيًا وَأُرْزِلَتْ عَنْهُ الشَّكْوَى، وَأَعْجَمْتُهُ: جَعَلْتُهُ مَعْجَمًا أَيْ مَبْهَمًا، وَأُرْزِلَتْ عَجْمَتُهُ^(٥)، وَتَفْسِيرُ هَذَا التَّضَادِّ غَامُضٌ غُمُوضٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُتَضَادَّةِ، وَلَمْ أَظْفَرْ بِمَنْ فَسَّرَ هَذِهِ الدَّلَالَةَ الْمُتَضَادَّةَ رَغْمَ طَوْلِ الْبَحْثِ، وَإِنْ كَانَ هَذَا الْمَعْنَى لَا يَخْرُجُ بِأَفْعَلَ عَنْ مَعْنَى الصِّيْرُورَةِ الصَّرْفِيِّ وَلَكِنَّهَا صِيْرُورَةٌ سَلْبٌ لَا إِثْبَاتٍ، فَأَعْجَمْتُهُ جَعَلْتُهُ غَيْرَ ذِي عُجْمَةٍ، وَأَشْكَيْتُهُ جَعَلْتُهُ غَيْرَ ذِي شَكْوَى.

(١) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٤٥١.

(٢) سنأتي الإشارة إليه مفصلة في مبحث فعل وأفعل.

(٣) انظر: أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده (٤٥٨هـ، ١٠٦٥م)، المخصص، ١٧ج، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ج٤، ص ٣٠٢.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل، ج ٧، ص ١٥٩.

(٥) أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (٦١٦هـ، ١٢١٩م)، شرح ديوان المتنبي، ٤ج، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، ج٤، ص ١١٦، ابن قتيبة، أدب الكاتب ص ٤٥٣، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ، ١٦٨٣م) الكلبيات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ج١، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ٥١٤، ابن سيده، المخصص، ج٤، ص ١٧٧.

وقد بلغت معاني أَفْعَلَ عند ابن عصفور (٦٦٩هـ، ١٢٧٠م) أحدَ عشرَ معنًى، منها خمسة لم ترد عند سواه ممّن تقدّمه من النحاة وإن ألمح إليها بعضهم، وهذه المعاني الجديدة التي ذكرها ابن عصفور هي: الهجوم، والضياء، ونفي الغريزة، والوجود، والوصول.

ومثال الهجوم كقولك أَطْلَعْتُ عليهم، أي هَجَمْتُ عليهم، وأما طَلَعْتُ فَبَدَوْتُ، ومثال الضياء كقولك أشرقت الشمس: أضاءت، فأما شَرَقْتُ فطلعت، ونفي الغريزة كقولك: أَسْرَعَ وَأَبْطَأَ، فأما عَجَلَ وَبَطُؤَ فكأنّه غريزة.^(١) والوجود كقولك أبصره: دلّه على وجود المبصر، والوصول: كقولك: أغفلته، أي: وصلت غفلتي إليه.

وهذه المعاني التي زادها ابن عصفور مأخوذة من عبارة سيبويه نصًّا، حين كان يُفسّر معاني هذه الأفعال ودلالاتها، ولم يُرد سيبويه من ذلك ذكر معانيها الصرفيّة، وإنّما كان يُفرّق بين فَعَلَ وَأَفْعَلَ من حيث الاستعمال والدلالة لا من حيث المعنى الصرفيّ، وقد ورد في بعض المعاجم اللغويّة: طَلَعَ علينا إذا هجم^(٢)، ممّا يعني أن معنى الهجوم ليس من صيغة أَفْعَلَ، وإنّما هو معنى دلاليّ في هذا الفعل مزيدًا أو غير مزيد، زيادةً على أنّها لم تُقدّ معنى الهجوم في غير هذا المثال.

(١) انظر: علي بن مؤمن ابن عصفور (ت ٦٦٩هـ، ١٢٧٠م)، الممتع الكبير في التصريف، مكتبة لبنان، ط ١، ١٩٩٦م، ١٢٧، ١٢٨، وانظر سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٥٦.

(٢) انظر: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ، ٧٨٦م)، كتاب العين، ج ٨، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ج ٢، ص ١١، أحمد بن فارس (٣٩٥هـ، ١٠٠٤م)، معجم مقاييس اللغة، ج ٦، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م، ج ٣، ص ٤١٩.

أما معنى الضياء الذي أخذه من عبارة سيبويه: أشرقت الشمس أي أضاءت، فإن سيبويه كان يفرق بين فَعَلَ (شَرَقَتْ: بَدَتْ)، وأَشْرَقَتْ: أضاءت، وهذا تفسير دلالي، أما المعنى الصرفي فهو الصيرورة، أي صارت ذات إشراق أو دخلت في هذه الحال، وهو معنى صرفي لا تكاد تُحصى أمثله^(١).

ولعلَّ تَمَسُّك ابن عصفور وتقيده بعبارة سيبويه هو ما جعله يوجهها إلى المعنى الصرفي؛ إذ لا يبدو من عبارة سيبويه حين كان يفرق بين فَعَلَ وأَفْعَلَ في الدلالة أنه كان يعني المعنى الصرفي، وذلك نحو قوله: "أَسْرَعَ: عَجَلَ، وأَبْطَأ: احتبس، وأَمَّا سَرَعَ وَبَطَأُ فكأنهما غريزة"^(٢)، فلما وقف عليها ابن عصفور جعل المعنى الصرفي لأَسْرَعَ وأَبْطَأ نفي الغريزة، مقابل ما ذكره سيبويه من غريزة في: سَرَعَ وَبَطَأُ. ومما يعزز ذلك عندي أن سيبويه شبه سَرَعَ وَبَطَأُ السابقتين بالفعلين: خَفَّ وَثَقَلَ، من حيث دلالتهما على الغريزة، ولم يَقُلْ أَحَدٌ بَأَنَّ أَخَفَّ وَثَقَلَ معناهما الصرفي نفي الغريزة؛ إذ لا يخفى معنى الصيرورة فيهما^(٣). فعلى ذلك يكون أَسْرَعَ: دخل في السرعة، وأَبْطَأ: دخل في البطء، أو صار ذا بطء. وكذلك الأمر في الوصول والوجود، فلا يخرج المعنى الصرفي عن كونه صيرورة، وقد سبق توضيح ذلك عند وقوف سيبويه على هذه المعاني^(٤).

وإذا ما صرنا إلى الرضي الاسترأبادي (٦٨٦هـ، ١٢٨٧ م) نجده قد قرّر بعض المسائل قبل أن يستعرض معاني أَفْعَلَ، فمنها أنه لا بدّ للزيادة من معنى (في أَفْعَلَ وسواها) وذهب إلى أن قولهم أحياناً أَنَّ فَعَلَ بمعنى أَفْعَلَ إنما هو

(١) انظر ص ٥٤، ٥٥، ٥٦ من هذا البحث.

(٢) سيبويه، الكتاب ٤، ٥٦.

(٣) انظر: الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (٢١٥هـ، ٨٣٠ م)، معاني القرآن، ج ٢، تحقيق هدى محمود قراة، مكتبة الخانجي، ط ١، القاهرة، ١٩٩٠ م، ج ١، ص ٣٤٣.

(٤) انظر: ص ٢٤، ٢٥، ٢٦، من هذا البحث.

تسامح في العبارة كقولهم بزيادة بعض الأحرف^(١)، مثل الباء في ﴿كَفَى بِاللَّهِ﴾ [الرعد ٤٣] ومن في ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران ٦٢]، وذهب إلى أن معنى الهمزة في (أَفْعَل) في مثل هذا، أو وظيفتها هو التأكيد والمبالغة، وهذا معنى جديد لم يرد عند مَنْ سبقه فيما أعلم. وهو معنى لا يناقض ما ذكرناه من معنى الصيرورة، إذ يبدو أن الرضي أَحَسَّ أَنَّ فِي أَفْعَلَ قُوَّةً وتأكيداً ليست في فَعَلَ، وهو فرق يتجلى حين الوقوف على فَعَلَ وَأَفْعَلَ المترادفات استعمالاً^(٢).

ومنها أَنَّ الأغلب في هذه الأبواب ألا تنحصر الزيادة في معنى بل تجيء لمعانٍ. وهذه إشارة تتأقظ ما قام هذا البحث عليه من توحيد لمعنى الزيادة الصرفي.

ثم استعرض معاني أَفْعَلَ جاعلاً المعنى الغالب التعديّة، وظهر جلياً في شرحه وأمثله أَنَّ التعديّة لا تنفك عن الجَعْل والصيرورة، بل إنها نتيجة نحويّة لهما، وهما في الحقيقة المعنى الصرفي ليس التعديّة، وقد لامس الرضي هذه النتيجة، فقال إِنَّ معنى الهمزة الجعل والتصيير: "فإن كان الفعل الثلاثي غير متعدّ صار بالهمزة متعدّياً إلى واحد هو مفعول لمعنى الهمزة، كأذهبته، ومنه أعظمته، أي جعلته عظيماً باعتقادي"^(٣)، ومن أمثله في تأكيد معنى الجعل: أحفرت زيداّ النهر، أي جعلته حافراً له.

وقد عاد الرضي واستدرك على ابن الحاجب قوله الذي تابعه عليه آنفاً، وهو أَنَّ الغالب في أَفْعَلَ التعديّة، وقال: "ولو قال المصنّف مكان قوله: "الغالب في أَفْعَلَ أن يكون للتعديّة" الغالب أن يجعل الشيء ذا أصله لكان أعمّ؛ لأنّه يدخل

(١) انظر: الرضي الاسترابادي، شرح الشافية، ج ١، ص ٨٣.

(٢) انظر: ص ٥٠، ٥١، ٥٢ من هذا البحث.

(٣) الرضي الاسترابادي، شرح الشافية، ج ١، ص ٨٦.

فيه ما كان أصله جامداً، نحو: أَفْحَى قِدْرَهُ، أي جعلها ذات فَحَاءٍ، وهو الأَبْزَارُ، وأَجْدَاهُ أي جعله ذا جَدَى، وأَذْهَبَهُ أي جعله ذا ذَهَبٍ، وقد يجيء أَفْعَلَ لجعل الشيء نفس أصله إن كان الأصل جامداً، نحو: أَهْدَيْتَ الشَّيْءَ: أي جعلته هَدِيَّةً أو هَدِيًّا^(١).

واعترض الرضِّي على ابن الحاجب يدلّ على أَنَّ الرضِّي أدرك معنى الصيرورة والجعل ولا مَسَّه، بل إن تفسيره لمعنى التعريض الذي ذكره ابن الحاجب يدلّ على تقريبه التعريض إلى معنى الجعل والتصيير، قال: "قوله: "وللتعريض"، أي: تفيد الهمزة أنك جعلت ما كان مفعولاً للثلاثي معرّضاً لأن يكون مفعولاً لأصل الحدث، سواء صار مفعولاً له أو لا، نحو أَقْتَلْتَهُ: أي عَرَضْتَهُ لأن يكون مقتولاً قُتِلَ أو لا"^(٢)، وأمثلة التعريض صريحة في معنى الجعل صرفياً، فأَبَعْتُهُ وَأَقْتَلْتَهُ أي جعلته معرّضاً لهما.

ويؤيد ما تقدّم أَنَّ الرضِّي أَمَعَنَ في شرح معنى الصيرورة الذي ذكره ابن الحاجب، فَأَلَحَمَ زَيْدٌ: صار ذا لحم، وَأَطْفَلَتْ: صارت ذات طِفْلٍ، وَأَعَسَرَ: صار ذا عُسْرٍ، وَأَجْرَبَ الرَّجُلُ: صار ذا إِبِلٍ ذات جَرَبٍ، وَالْأَمَّ صار صاحب قوم يلومونه. واعترض على كون أَكَبَّ مطاوع كَبَّه، وقال: أَكَبَّ، أي صار يُكَبُّ^(٣).

وأيد ابن الحاجب في عدم جعل مثل (أَحْصَدَ الزَّرْعَ) قسماً له معنى بعينه، بمعنى حان أن يُحْصَدَ، وإنما هو في الحقيقة بمعنى صار ذا كَذَا، أي صار ذا حَصَادٍ^(٤)، وذلك بحينونة حصاده. ثم حمل الرضِّي على ذلك - أي على معنى الصيرورة - نحو: أَصْبَحَ، وَأَمْسَى وَأَفْجَرَ، وَأَشْهَرَ، أي دخل في الصباح والمساء

(١) الرضِّي الاسترأبازي، شرح الشافية: ص ٨٧.

(٢) السابق: ص ٨٨.

(٣) السابق: ج ١، ص ٨٨.

(٤) السابق: ص ٨٩.

والفجر والشهر، وكذا أنْجَدَ وأنْجَبَلَ، والوصول إلى العدد نحو: أَعْشَرَ، وأتَّسَعَ،
فجميع هذا بمعنى صار ذا كذا: أي صار ذا الصبح وذا المساء، وذا الجبل وذا
العشرة.^(١)

لكن الرضيّ تابع ابن الحاجب مقررًا بعض المعاني على ما هي عليه، مثل:
وجدته على كذا أو على صفة كذا، والسلب والدعاء.^(٢) وختم معاني أفعَلَ بأنه قد
يأتي لها معانٍ غير ما سبق "وليس لها ضابطة كضوابط المعاني المذكورة كأبصره:
أي رآه، وأوعزت إليه، أي تقدّمت"^(٣) ثم قال: "وقد يجيء أفعَلَ مطاوعاً لفعل كفطرته
فأفطر، وبشّرته فأبشّر"^(٤).

ولو وحّد القدماء معنى أفعَلَ على الجعل والصيرورة لكان من السهل توجيه
سائر المعاني عليه.

وأختم مذاهب القدماء في معاني أفعَلَ وتعديدها بأبي حيّان الأندلسيّ الذي جمع
أغلب المعاني التي جاءت عند سابقيه حتى أوصلها إلى أربع وعشرين معنًى، وهي:
الجعل، والتعديّة، والكثرة، والصيرورة، والإعانة، والتعريض، والسلب، وإصابة الشيء
بمعنى ما صيغَ منه، وبلوغ عدد أو زمان أو مكان، وموافقة ثلاثيّ أو إغناء عنه،
ومطاوعة فَعَلَ وفَعَّل، والهجوم ونفي الغريزة والتسمية، والدعاء، والاستحقاق،
والوصول، والاستقبال، والمجيء بالشيء، والنفرة.^(٥)

ومن المعاني التي زادها أبو حيّان ولم تتقدّم عند سابقيه نصًّا: الاستقبال،
والمجيء بالشيء، والنفرة، ومثال الاستقبال: أففته، أي استقبلته بأفٍّ، وأسقيته:

(١) الرضيّ الاسترأبادي، شرح الشافية: ص ٩٠.

(٢) السابق، ٩٠، ٩١.

(٣) السابق: ج ١، ص ٩٢.

(٤) السابق نفسه.

(٥) انظر: أبو حيّان، البحر المحيط، ج ١، ص ٤٦.

استقبلته بقولك سقياً لك، ومثال المجيء: أكثر: أي جئت بالكثير، والنفرة: أشرقت الشمس أضاءت، وشرقت: طلعت.^(١)

ولا يخفى أن كل هذه الأمثلة معناها الصرفي الجعل والصيرورة، وقد تقدّم توضيح بعضها، أما نحو: أكثر، أي جئت بالكثير، فالأقرب أن أكثرت جعلت الشيء كثيراً أو صيرته كثيراً، ولكن اختلفت عبارة التفسير والتأويل فأدت إلى تعدد المعاني، وجوهرها واحد كما ذكرت مراراً.

هذه جُلّ مذاهب القدماء من نحاة وصرفيين ولغويين في معاني أَفْعَلَ، استقصيت المعاني ولم أحص أصحابها عدداً، إذ وقفت عند أبرز من ذكروها وزادوا فيها حتى صارت إلى ما صارت إليه.

٢. المحدثون ومعاني أَفْعَلَ:

إنّ الدراسات الصرفية الحديثة التي أشارت إلى معاني زيادات الأفعال أو تناولتها بوقفة مطوّلة كثيرة جداً، ومن الصعوبة الوقوف عليها جميعاً في مثل هذا البحث، غير أنني لم أعثر على دراسة واحدة اختصت صيغة أَفْعَلَ من حيث ضبط معانيها، وسعت إلى ما سعت إليه، يزداد على ذلك أن جُلّ هذه الدراسات حذت حذو القدماء في ذكر المعاني ذاتها، والأمثلة ذاتها، ولم تعد إلى مناقشة هذه المعاني، ولم تعبأ بمسألة تكثير معاني أَفْعَلَ وأنها قد تعود إلى معنى صرفي واحد، كما هو شأني في هذا البحث.

ومن هذه الدراسات كتاب هاشم طه شلاش (أوزان الفعل ومعانيها)^(٢)؛ إذ جعل كتابه كاملاً لمعاني زيادات الأفعال ومنها أَفْعَلَ^(٣)، وقد تابع القدماء في كثير من معانيها، مثرياً المعاني بشواهد استخلصها من المصادر اللغوية والمعجمات،

(١) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ١، ص ٤٦.

(٢) هاشم طه شلاش، أوزان الفعل ومعانيها، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧١م.

(٣) انظر: السابق ص ٥٧ - ٧٣.

وقد بلغت المعاني عنده ستَّة وعشرين معنًى، مضيئاً بعض المعاني التي استخلصها من عبارات المتقدِّمين، كمعنى التهيؤ الذي ذكره، نحو: خَفَقَ النجم إذا غاب، وأخَفَقَ إذا تهيأً للمغيب، وخَفَقَ الطائر إذا طار، وأخَفَقَ إذا ضرب بجناحيه^(١)، واستنتج المؤلف هذا المعنى من عبارات القدماء^(٢) وتفريقهم بين فَعَلَ وأَفْعَلَ، إلاَّ أنَّ التهيؤ المذكور يعود إلى المعنى الصرفي: الصيرورة أو المصير، فأخَفَقَ النجم بمعنى: صار إلى المغيب، وأخَفَقَ الطائر: صار إلى الطيران، هذا هو المعنى الصرفي العام والتهيؤ معنى دلالي خاصَّ يمثِّل هذه الحالات في صيرورتها: المغيب أو الطيران، فلا يستقيم أن يُفَرَّدَ معنًى صرفياً مستقلاً.

ومن المعاني التي زادها معنى (وهب)^(٣)، نحو: أشفيته وهبت له شفاءً، وهذا معنى جعل وصيرورة كما ناقشه سيبويه في مثل: فتن وأفتن وحزن وأحزن؛ إذ قال: أَفْعَلَ: جعلته حزينا وجعلته مُفْتَنًا.

ومما زاده أيضاً (التمكَّن من الشيء)^(٤)، نحو: أحفرتُ البئرَ أي مكنت من حفرها، وأعرض: تمكَّن في عرضه. وقد تقدَّم أنَّ معنى الجعل والصيرورة في مثل هذا واضح. فالمثال الأول حمله القدماء على معنى الإعانة^(٥)، ومعنى الجعل والصيرورة واضح جداً في معنى الإعانة. فأحفرتُ فلاناً البئرَ: جعلته حافراً لها.

(١) هاشم طه شلاش، أوزان الفعل ومعانيها، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧١م، ص ٦٥.

(٢) انظر: ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٣٥٢.

(٣) انظر: هاشم طه شلاش، أوزان الفعل ومعانيها، ص ٦٥.

(٤) انظر: السابق، ص ٦٦.

(٥) انظر: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (٥٣٨هـ، ١١٤٣م)، أساس البلاغة، ج ٢، تحقيق:

محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ج ١، ص ٢٠٧.

وذكر من المعاني (الحمل)^(١)، نحو: أكذبتَه، أي حملته على الكذب، وأعجبته، أي حملته على العجب، ولا أرى ذلك إلاّ جعلاً وصيرورة، أي جعلته كذلك، أو صيرّته إلى ذلك.

ومن المعاني التي ذكرها أيضاً (الإظهار)^(٢)، نحو: أبأست، أي أظهرت البأس، ولا يختلف هذا عن الصيرورة في شيء. وذكر غير ذلك من المعاني التي إن دققت فيها تجدها لا تتعدّى معنى الجعل والصيرورة.

أمّا خديجة الحديثي فحين وقفت عند معاني أَفْعَلَ التي جاءت عند سيبويه، وعند بعض المتقدمين جعلت التعدية مرادفة للصيرورة إلى شيء^(٣)، كما أنّها لم تحقّق المعاني التي نقلتها عن سيبويه؛ إذ جعلت أشرق الشمس، وأضاء كالغريزة مع أنّ سيبويه فرق تفرّقاً دقيقاً بين شَرَقَ وأشرقَ، وضَاءَ وأضاءَ، وجعلت أذنف ممّا استغني به عن الثلاثي، مع أنّ سيبويه قاسه على أصبح من حيث الدخول في الشيء أو المصير إليه^(٤)، وذكرت لأصبح وأمسى ونحوهما معنيين: مرّة يغني عن الثلاثي ومرّة الدخول في الحين^(٥)، والحقيقة أنّه للثاني، الذي يؤول إلى الصيرورة كما أشرت لذلك عند استعراض مذهب سيبويه في المعاني.

أمّا الدراسة الثانية فهي (أبنية الأفعال دراسة لغويّة قرآنيّة)^(٦) لنجاة الكوفي، إذ وقفت على معاني أَفْعَلَ التي ذكرها القدماء، ولم تأتِ بجديد يُذكر، ولم تستحسن معنى الصيرورة في مثل أحصد، وذهبت إلى أن همزة الصيرورة الغالب فيها

(١) انظر: هاشم طه شلاش، أوزان الفعل ومعانيها، ص ٦٥.

(٢) انظر: السابق ٧٣.

(٣) خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، منشورات مكتبة النهضة، ط ١، بغداد، ١٩٦٥م، ص ٣٩١.

(٤) انظر: سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٦١، خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، ص ٣٩٢.

(٥) الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، ص ٣٩٢.

(٦) نجاة الكوفي، أبنية الأفعال دراسة لغويّة قرآنيّة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م، ص ٣١-٤٨.

اشتقاق فعلها من الجامد، والمسموع في همزة الاستحقاق اشتقاق فعلها من الحدث، مثل: أَجَزَّ النُّخْلُ^(١)، غير أَنَّ الصيرورة في أَفْعَلَ أَعْمُ من كُلِّ هذه المحدّدات. وأثبتت معنى المطاوعة في أَفْعَلَ مع أَنَّ المحقّقين من النحاة نفوا ذلك وأعادوه إلى الصيرورة^(٢).

وذكرت معنى (وصول الحدث إلى المفعول) وفسّرتة على خلاف التعدية، مع أَنَّ ظاهر عبارة سيبويه أَنَّهُ للتعدية، مثل: غفلت وأغفلت. وفرّقت بين همزة التعدية والهمزة في مثل هذا من غير ما طائل. وكلُّ ما اجتهدت فيه من معانٍ لا يعدو معنى الصيرورة والجعل صرفيّاً.

ومن الدراسات الحديثة ما لم يتجاوز ما جاء عند القدماء قيد أنملة، وذلك نحو: (أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب)^(٣) التي ذكر فيها ستة عشر معنى استخلصها من شافية ابن الحاجب، ولم يزد عما جاء عند القدماء شيئاً. ومثلها: (أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها)، لأبي أوس إبراهيم الشمسان^(٤).

٣. فَعَلَ وَأَفْعَلَ:

يُعَدُّ ترادف فَعَلَ وَأَفْعَلَ استعمالاً من أقدم القضايا اللغويّة التي لفتت أنظار النحويّين واللغويّين، إذ انقسموا فيها فريقين: أحدهما يقرُّ بمجيء أَفْعَلَ بمعنى فَعَلَ، والثاني لا يرى ترادفاً بينهما، ملتصقاً فروقاً دقيقة بين الصيغتين.

(١) نجاه الكوفي، أبنية الأفعال دراسة لغويّة قرآنيّة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م، ص ٤٥.

(٢) انظر: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ، ١١٤٣م) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ٤ ج، دار الكتاب العربي، ط ٣، بيروت، ١٤٠٣ هـ، ج ٤، ص ٥٨٢، شرح الرضي على الشافية، ج ١، ص ٨٩.

(٣) عصام نور الدين، أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب دراسات لسانیّة ولغويّة، دار الفكر اللبناني، ط ١، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٢٠١-٢٠٦.

(٤) أبو أوس إبراهيم الشمسان، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها، دار المدني، ط ١، جدّة، ١٩٨٧م، ص ١٦-٢٥.

وقد كَثُرَتْ في هذه المسألة المصنّفات المستقلّة، وتَبِعَ المحدثون فيها السابقين من حيث الاختلاف في الترادف بينهما وعدمه، ومن حيث أفرادها بالتأليف والبحث.

وليس غرضي الوقوف مليّاً على هذه الظاهرة ولكنّي سألامسها من الجانب الّذي تتقاطع فيه مع هذا البحث، لأنّني أوافق ابتداءً من ذهب إلى التفريق بين فَعَلَ وأَفْعَلَ؛ إذ إنّ المعنى الصرفيّ الّذي أسعى إلى ضبطه في صيغة أَفْعَلَ لم آنسه في (فَعَلَ) المجزّد؛ فأَفْعَلَ تخالف فَعَلَ في المعنى الصرفيّ الملازم لها، وهو معنى الجعل والصورورة، وهو فرق جوهريّ بين الصيغتين.

وقد تبَيَّن لي هذا الفرق من خلال دراسة طائفة من الأفعال جاءت على (أَفْعَلَ) و(فَعَلَ)، وذهب بعضهم إلى أنّهما سواء في المعنى، وذهب آخرون إلى أنّهما مختلفتان فيه، وقد رجّحت في هذا البحث تخالفهما الجوهريّ وإن ترادفتا بعد حين في الاستعمال، فاختلافهما في أصل المعنى لا يتناقض مع ورود استعمالهما في المعنى ذاته؛ لأن استعمالهما بالمعنى ذاته مسألة تداول واستعمال. وهذه مسألة معهودة في اللغة؛ إذ تختلف الكلمات أو الصيغ في أصل الوضع، ولكنّ المتقاربات قد تتوحّد وتعمّم دلالتها تحت وطأة الاستعمال، وقد يحدث أن تختار بيئة من البيئات اللغويّة إحداها وتختار بيئةً أخرى الأخرى وتشيع فيها، وهو الأمر نفسه الذي جرى في فَعَلَ وأَفْعَلَ المترادفات استعمالاً، إذ اختارت البيئة الحجازية (فَعَلَ) في بعض الأفعال، واختارت تميم (أَفْعَلَ) فيها كما أشار بعض العلماء.^(١)، قال سيبويه: "وقد يجيء فعلت وأفعلت المعنى فيهما واحد إلا أنّ اللغتين اختلفتا، زعم ذلك الخليل فيجيء به قوم على فعلت ويلحق به قوم الألف فيبينونه على أفعلت..."^(٢)، وقال ابن درستويه (٣٣٧هـ، ٩٤٨ م): "ولا يكون فَعَلَ وأَفْعَلَ بمعنى واحد، كما لم يكونا على بناء واحد،

(١) انظر: أبو حاتم السجستانيّ (٢٥٥هـ، ٨٦٨ م)، فعلت وأفعلت، تحقيق إبراهيم خليل العطية، دار صادر، ط ٢، بيروت، ١٩٩٦ م، ص ٦٠ (مقدمة المحقّق)، أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، الدار العربيّة للكتاب، ١٩٨٣ م، ج ٢، ص ٦٢١.

(٢) سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٦١.

إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين، فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد، كما يظن كثير من النحويين واللغويين، وإنما سمعوا العرب تتكلم على طباعها، وما في نفوسها من معانيها المختلفة، وعلى ما جرت به عادتها وتعارفها، ولم يعرف السامعون تلك العلة فيه والفروق، فظنوا أنهما بمعنى واحد، وتأولوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم، فإن كانوا قد صدقوا في نقل ذلك عن العرب، فقد أخطؤوا عليهم في تأويلهم ... وليس يجيء شيء من هذا الباب إلا على لغتين متباينتين كما بيّنّا، أو يكون على معنيين مختلفين^(١)، وابن درستويه من أوائل العلماء الذين رفضوا ترادف فعل وأفعل على معنى واحد خارج الشرط المذكور، وأفاض في تصحيح الفصح بذكر الفروق بينهما في الأزواج التي ذكروا أنها مترادفة، بل إنه ذكر أنه صنّف تصنيفاً خاصاً في هذه المسألة في تأكيد الخلاف والفرق بين فعل وأفعل^(٢)، وممن ذهبوا هذا المذهب الرضيّ الاسترياضي، الذي ذهب إلى أنه لا بد من فرق بين البنائين^(٣)، وتبعهم من تبعهم من القدماء والمحدثين^(٤).

وقد نسبوا (فعل) إلى البيئة الحجازية و(أفعل) إلى البيئة التميمية^(٥)، وليس من الواضح إن كانت هذه ظاهرة عامة أم خاصة ببعض الأفعال، لأنّ إشارات

(١) أبو محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه (ت ٣٣٧هـ، ٩٤٨م)، تصحيح الفصح، تحقيق محمد بدوي المختون، مراجعة رمضان عبدالنواب، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٨م، ص ٧٠.

(٢) انظر: السابق، والكتاب المشار إليه لم يُعثر عليه بعد.

(٣) انظر: شرح الرضي على الشافية، ج ١، ص ٨٣.

(٤) انظر: لطف الله بن محمد الغياث الظفيري (١٠٣٥هـ، ١٦٢٥م)، المناهل الصافية إلى كشف معاني الشافية، ج ٢، تحقيق: عبدالرحمن محمد شاهين، ج ١، ص ٦٩.

(٥) أبو إسحق الزجاج (٣١١هـ، ٩٢٣م)، فعلت وأفعلت، تحقيق رمضان عبدالنواب، وصبيح التميمي، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٥م، ص ٥ (مقدمة المحقق)، ضاحي عبدالباقي، لغة تميم - دراسة تاريخية وصفية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٣٦١، أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، ج ٢، ص ٦٢١.

القدماء ذكرت الفعل فتن فقط^(١)، وهذه المسألة لا تقدّم لهذا البحث شيئاً غير أنّ في ثناياها إشارات أخرى ذات أهميّة، منها أنّ الاستعمال قد تحوّل عن فَعَلَ إلى أَفْعَلَ؛ إذ روى ابن دريد (٣٢١هـ، ٩٣١م) عن أبي عمرو بن العلاء قوله: "مضني: كلامٌ قديم قد تُرك" وأردف ابن دريد: "وكأنّه أراد أنّ أمضني هو المستعمل"^(٢)، وجاء في الصحاح: "وقال ثعلب: يُقال: قد أمضني الجرح. قال: وكان من مضى يقول مضني بغير ألف"^(٣)، ونقل الزمخشري عن بعضهم: "أنّ مضّ وأمضّ لغتان جيّدتان، وقال الفراء: أمضّ أفصح، واحتجّ بقول رؤية: [الرجز] فافقني فشرّ القول ما أمضاً"^(٤)،^(٥).

وإذا ما جمعنا هذه الإشارات مع الإشارة السابقة وهي أنّ فَعَلَ كانت تستعمل عند الحجازيين زيادة على إشارة النحاس العامّة، وهي أنّ لغة الحجاز هي اللغة

(١) انظر: أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٣٣٨هـ، ٩٤٩م) إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربيّة، ط٢، ١٩٨٥م، ج ١، ص ٤٨٥، محمد بن مكرم بن منظور (٧١١هـ، ١٣١١م) لسان العرب، ١٥ ج، دار صادر، ط ٣، بيروت، ١٤١٤هـ، ج ١٣، ص ٣١٧ (فتن).

(٢) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (٣٢١هـ، ٩٣١م) جمهرة اللغة، ج ٣، تحقيق: رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، ط ١، بيروت، ١٩٨٧م، ج ١، ص ١٤٨.

(٣) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٧، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط ٤، بيروت، ١٩٨٧م، ج ٣، ص ١١٠٦. وانظر: ابن درسيه، تصحيح الفصح، ص ١٦٣.

(٤) انظر: وليم البروسي، مجموع أشعار العرب، وهو مشتمل على ديوان رؤية بن العجاج، وعلى أبيات مفردة منسوبة إليه، ص ٨٠، وصدر البيت: إنّ كان خيرٌ منك مُستَنَضًا.

(٥) الزمخشري، شرح الفصح، ج ٢، تحقيق: إبراهيم الغامدي، المملكة العربيّة السعوديّة، ١٤١٧هـ، ج ١، ص ٤٥٢.

القديمة الفصيحة^(١)، فإنَّ المحصَّلة هي أنَّ مَنْ اختارَ أَفْعَلَ على فَعَلَ إنّما سلك هذا المسلك التطوُّريَّ لحادثٍ متجدّدٍ في سمت هذه الصيغة، وهو معنى الجعل والصرورة الذي يمنحها قوّة ليست في فَعَلَ^(٢) كما سيَتَبَيَّن ذلك لاحقاً في دراسة الأفعال.

ومما يؤيّد ما سبق أن السجستانيّ نقل عن الأصمعيّ إنكاره للفعل (خُلِقَ) وتجوّده للمزيد (أَخْلَقَ)، غير أنَّ بعض العلماء ردّ على الأصمعيّ بأنَّ الثلاثيّ مستعمل، مستدلّين بشواهد شعريّة، واعتذر السجستاني عن الأصمعيّ بأنَّ أَفْعَلَ (أَخْلَقَ) هو الوجه الجيّد الَّذي لا اختلاف فيه، غير أنَّ الأصمعيّ كان مولعاً بالجيّد المشهور ويضيق فيما سواه.^(٣)

وذكر الزمخشريّ أفعالاً أخرى مثل يَدَيْتْ وَيَدَيْتْ، وَأَعْفَيْتْ وَعَفَوْتَ (التي عدّها من قول العامّة) عادّاً أَفْعَلَ هي الأفصح.^(٤)

ولا أستبعد هنا أن جنوح الاستعمال نحو (أَفْعَلَ) إنّما هو جنوح نحو قوّتها المتأثّية من معنى الجعل والصرورة فيها، في حين أنَّ (فَعَلَ) تدلُّ على الفعل ابتداءً مجرّداً من أي دلالة صرفيّة زائدة.

وفسر ابن جنيّ ترادف فَعَلَ وَأَفْعَلَ استعمالاً على أن أَفْعَلَ منقولة عن فَعَلَ (أي تعدية لها) غير أنَّ المفعول به حُذِفَ معها، قال: "وَأَمَّا أَخْصَفْتُ فكأنّها منقولة عن خَصَفْتُ، كأنّه - والله أعلم - يَخْصِفَانِ أَنْفُسَهُمَا أو أجسامَهُمَا من ورق الجَنَّة،

(١) انظر: أبو جعفر أحمد بن محمد النخّاس (٣٣٨هـ، ٩٤٩م) إعراب القرآن، ج٥، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربيّة، ط٢، ١٩٨٥م، ج ٣، ص ٣١٤.

(٢) لعلّ هذا ما لمسه الرضي في شرح الشافية فجعل التأكيد والمبالغة من معاني أَفْعَلَ (انظر ص ١٠ من هذا البحث).

(٣) انظر: السجستانيّ، فعلت وأفعلت، ص ٨٣.

(٤) انظر: الزمخشريّ، شرح الفصيح، ج ١، ص ٤٥٤، ٤٥٧.

ثُمَّ حُذِفَ الْمَفْعُولُ عَلَى عَادَةِ حَذْفِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ^(١)، وَأَوَّلُ (أُنْبِتَ) مِنْ قَوْلِ زَهِيرٍ: [الطويل]

رَأَيْتَ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِينًا لَهُمْ حَتَّى إِذَا أُنْبِتَ الْبَقْلُ^(٢)

فِي أَحَدٍ وَجُوهِهِ أَنْ يَكُونَ مَحْذُوفَ الْمَفْعُولِ، أَي: حَتَّى أُنْبِتَ الْبَقْلُ ثَمَرَهُ^(٣)، وَمَذْهَبُ ابْنِ جَنِيٍّ هَذَا يُوَيِّدُ الْجَعْلَ وَالصِّيْرُورَةَ الَّتِي فِي أَفْعَلَ؛ لِأَنَّ التَّعْدِيَةَ كَمَا أَشْرَتْ مَا هِيَ إِلَّا نَتِيجَةٌ لِمَعْنَى الْجَعْلِ وَالصِّيْرُورَةِ.

٣. ١: طائفة من الأفعال التي استعمل فيها فَعَلَ وأَفْعَلَ بمعنى واحد:

هذه طائفة من الأفعال التي جاءت عند اللغويين والنحويين بمعنى واحد، وسأدرس هنا إن كانت كما زعموا، أم أَنَّ لِكُلِّ مِنْهَا مَعْنًى وَأَنَّ اتِّفَاقَهَا مَسْأَلَةٌ اسْتِعْمَالٍ.

١- بدأ وأبدأ: لم أعثر على مَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا فِي الْمَعْنَى بَلْ إِنَّ جُلَّ الْإِشَارَاتِ إِلَيْهِمَا عَلَى أَنَّهُمَا لِعَتَانِ بِمَعْنَى، قَالَ الزَّجَّاجُ: "بَدَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ يَبْدُوهُمْ بَدْعًا، وَأَبْدَأَهُمْ إِبْدَاءً"^(٤)، وَيَبْدُو لِي أَنَّ بَدَأَ: أَنْشَأَ ابْتِدَاءً، وَأَبْدَأَ: يَجْعَلُ لَهُ بَدْعًا، وَمِنْ هُنَا فَعَالِبًا مَا تَقْتَرِنُ أَبْدَأَ بِأَعَادَ^(٥)، وَقَدْ تَعَرَّزَ عِنْدِي ذَلِكَ مِنْ اسْتِعْرَاضِ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا هَذَانِ الْفِعْلَانِ، مِنْهَا: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم: ٢٧]، ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ

(١) أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ، ١٠٠١م) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج ٢، تحقيق: علي النجدي ناصف، عبدالحليم النجار، عبدالفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤م، ج ١، ص ٢٤٥.

(٢) أبو العباس ثعلب (٢٩١هـ، ٩٠٣م) شرح شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة هارون الرشيد، ط ٣، دمشق، سوريا، ٢٠٠٨م، ص ٩٢.

(٣) انظر ابن جني، المحتسب، ج ٢، ص ٨٩.

(٤) الزجّاج، فعلت وأفعلت، ص ٥١، وانظر: السجستاني، فعلت وأفعلت، ص ١٣٣.

(٥) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٠، ص ٢٢٨.

الأَجَرَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٣]، فغير خافٍ أنَّ دلالة بدأ في الآيات: أنشأ النشأة الأولى. في حين أنَّ أبدأ: جعل له بداية، ولذلك غالباً ما تقترن بأعاد، قال عبيدٌ: [الرجز]

أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدٌ فاليومَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ^(١)

وقال الشنفرى: [الطويل]

فَأَيَّمْتُ نُسَوَانًا وَأَيَّمْتُ إِدَّةً وَعُدْتُ كَمَا أَبْدَأْتُ وَاللَّيْلُ أَلِيلُ^(٢)

٢ - حسن وأحسن:

حسن: إذا لامس بحواسه، وأحسن: إذا صار ذا إحساس، أو صار إلى الإحساس، وهي تطابق تماماً ما ذكره سيبويه حين حمل أدنف على أصبح وأمسى، أي صار إلى الدنف أو صار ذا دنف، قال الراغب: "فأما حسست فنحو علمت وفهمت، ولكن لا يقال ذلك إلا فيما كان من جهة الحاسة... وأما أحسنته فحقيقته: أدركته بحاستي...، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ [آل عمران: ٥٢] فتنبه أنه ظهر منهم الكفر ظهوراً بأن للحسن فضلاً عن الفهم"^(٣)، وقد ألمح أبو حيّان في البحر إلى أن حسن قد يكون للمتجسد^(٤)، ونقل القرطبي

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٤، ص ١٨١ (عود)، وانظر: ديوان عبيد بن الأبرص، شرح أشرف أحمد عذرة، دار الكتاب اللبناني، ط ١، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٥٢.

(٢) محمد بن محمد الملقّب بمرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ، ١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، ٤٠ ج، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج ومجموعة من المحققين، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٥م، (أيم) ج ٣١، ص ٢٥٧، ونُسب البيت لتأبط شراً، إلا أن الأكثر على أنه للشنفرى (انظر: ديوان الشنفرى، جمع وشرح وتحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط ٢، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٧٠).

(٣) أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ، ١١٠٨م)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، ط ١، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٢هـ، ص ٢٣٢ (حسن).

(٤) البحر المحيط، ٣، ١٧٦.

عن أبي عبيدة: "معنى أحسّ: عرف، وأصل ذلك وجود الشيء بالحاسة، والإحساس العلم بالشيء"^(١)، وإذا كانت كذلك فإن أحسّ غالباً ما يُستخدَم لغير المتجسّد كقوله تعالى: ﴿قَلَمًا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ [آل عمران: ٥٢]، قال الزمخشري: "قَلَمًا علم منهم الكفر علماً لا شبهة فيه كعلم ما يُدرك بالحواس"^(٢)، وهو يؤيد معنى الصيرورة في أحسّ، إذا صار ذا حسّ لهذا الأمر، كمن يحسّه بحواسّه ويلمسه. ويحمل عليه المجاز الذي ورد في قول أوس بن حجر: [الطويل]

وأملَسَ صولياً كنهى قرارة
أحسّ بقاع نفح ريح فأجفلا^(٣)

وفي شرح النووي على مسلم عند وقوفه على حديث أنس - رضي الله عنه - : "قَلَمًا حسّ النبي صلى الله عليه وسلم أنّاً خلفه جعل يتجوّز في الصلاة..."، قال النووي (٦٧٦هـ، ١٢٧٧ م): "ويقع في طرق بعض النسخ (أحسّ) بالألف، وهذا هو الفصح الذي جاء به القرآن، وأمّا حسّ بحذف الألف فلغة قليلة"^(٤)، ويبدو لي أنّ قلة (حسّ) في مثل هذا المعنى إنّما هو لارتباطها بالحاسة مباشرة، وارتباط (أحسّ) بما يترتب على الحاسة من شعور وعلم بالشيء، وهو أمر يؤيد معنى الصيرورة كما تقدّم.

(١) أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ، ١٢٧٢م) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ٢٠ ج، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط ٢، القاهرة، ١٩٦٤م، ج ٤، ص ٩٧.

(٢) الكشف، ١، ٣٦٥.

(٣) ديوان أوس بن حجر، تحقيق: وشرح محمد يوسف نجم، دار صادر، ط ٣، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٨٤.

(٤) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ، ١٢٧٧ م)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١٨ ج، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، بيروت، ١٣٩٢هـ، ج ٧، ص ٢١٣، الحديث رقم ١١٠٤.

٣- ضاء وأضاء:

ذكر الزجاج أن ضاء وأضاء معناهما واحد^(١)، وقال ابن عاشور: "أضاء يجيء متعدياً، وهو الأصل؛ لأن مجرده ضاء، فتكون حينئذٍ همزته للتعدية، كقول أبي الطحان القيني: [الطويل]

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دُجى الليل حتى نظَمَ الجزعَ ثاقبه^(٢)

ويجيء قاصراً بمعنى ضاء، فهمزته للصيرورة، أي صار ذا ضوء، فيساوي ضاء كقول امرئ القيس يصف البرق: [الطويل]

يضيء سناه أو مصابيحُ راهبٍ أمالَ السليط بالذُّبالِ المفئل^(٣)

والحقيقة أن بينهما فرقاً دقيقاً لم يأبه به كثير من اللغويين والمفسرين، وحملوه على المعنى الواسع كما فعل ابن عاشور الذي فسّر المعنى تفسيراً دقيقاً، لكنه ساوى بين ضاء وأضاء، فضاء ابتداءً، وأضاء: صار ذا ضياء أو صار مضيئاً، وهو مثل سَفَرٍ وأسْفَر، وَشَرَقَ وأشْرَقَ، قال ابن درستويه: "سَفَرَتِ المرأة إذا ألقت خمارها عن وجهها، وقد أسفر وجهها إذا أضاء، وكذلك أسْفَر الصبح"^(٤)، فالعلاقة بين الفعلين أن سَفَر ابتداءً: كَشَفَ، وأسْفَر الوجه والصبح: صار ذا سفور وإضاءة، قال الراغب: "وأسْفَرُوا بالصَّبح تُؤَجِّرُوا، من قولهم: أسْفَرْتُ، أي: دخلت فيه، نحو:

(١) انظر: الزجاج، فعلت وأفعلت، ص ٩٦، أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (٥٤٠هـ، ١١٤٥م)، ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد، تحقيق: ماجد الذهبي، دار الفكر، ١٩٨٢م، ص ٥٢.

(٢) انظر: يحيى الجبري، قصائد جاهلية نادرة، مؤسسة الرسالة، ط ٢، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢١٨، ويُنسب إلى لقيط بن زرارَةَ في بعض المصادر.

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ٣٠٨، وانظر: أبو سعيد السكري (٢٧٥هـ)، شرح ديوان امرئ القيس وملحقاته، ج ٣، دراسة وتحقيق: أنور أبو سويلم، محمد الشوابكة، إصدار مركز زايد للتراث والتاريخ، ط ١، دولة الإمارات، ٢٠٠٠م، ج ١، ص ٢٧٨.

(٤) ابن درستويه، تصحيح الفصيح، ص ١٢٩.

أَصْبَحَتْ^(١)، وقد تقدّم أنّ الدخول في مثل أصبح وأمسى من أوجه الصيرورة، وقال ابن درستويه عن (شرق): "شَرَقَتِ الشمس إذا طلعت، وأشْرَقَت: إذا أضاءت وصَفَتْ، ومعناه صارت ذات إشراق وضياء؛ لأنّ هذه الألف تجيء لهذا المعنى"^(٢)، وقال ابن الجبّان (٤١٦هـ، ١١٢٥م): "فإذا انبسطت الشمس وأضاءت: قيل أشْرَقَتْ... فأشْرَقَتْ أبلغ من شَرَقَتْ"^(٣)، وقال الزجاج: "يُقَال ضاء الشيء يضيء ويُضيء، وهذه اللغة الثانية هي المختارة"^(٤) وكلّ هذا يدلّ على معنى الصيرورة في أَفْعَلَ، والأمثلة قريبة من ضاء وأضاء، فأضاء: أي صار ذا ضياء، وضاء لمع ابتداءً، وقد أحسن من قال: إنّ أضاء ضد أظلم^(٥)، لأنّ معنى الصيرورة واضح في أظلم، ويقاس على ذلك أضاء.

٤ - سقى وأسقى:

جاءت عبارة سيبويه صريحة في النص على معنى الجعل في أسقى، وعلى أساس ذلك فرّق بين سقى وأسقى، قال: "وتقول سقيته فشرب، وأسقيته: جعلت له ماءً وسقياً....، فسقيته مثل كسوته، وأسقيته مثل البسته، ومثله: شفّيته وأشفيته، فشفيته: أبرأته، وأشفيته وهبت له شفاءً"^(٦)، فأسقيته: جعلته مسقياً دون مباشرة السقي، مثل أشفيته: جعلته شافياً أو مُشَفًّى بأن وهبت له ما يُشفيه دون مباشرة

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج ١، ص ٤١٢ (سفر).

(٢) ابن درستويه، تصحيح الفصح ص ١٢٥.

(٣) أبو منصور ابن الجبّان (ت ٤١٦هـ، ١١٢٥م)، شرح الفصح في اللغة، تحقيق: عبد الجبار جعفر

القزاز، تقديم: إبراهيم الوائلي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، بغداد، ١٩٩١م، ص ١٣٤.

(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت ٣١١هـ، ٩٢٣م)، معاني القرآن وإعرابه، ج ٥،

تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط ١، بيروت، ١٩٨٨م، ج ١، ص ٩٦.

(٥) انظر: أبو علي الحسن بن عبدالله القيسي (ق ٦هـ، ق ١٢م)، إيضاح شواهد الإيضاح، ج ٢، تحقيق:

محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، ط ١، بيروت، ١٩٨٧م. ج ١، ص ١٤٩.

(٦) سيبويه، الكتاب ج ٤، ص ٥٩.

عَمَلُ الإِبْرَاءِ، وهذا التحليل هو ذاته ما لمحّه الرضي^(١) بين حزنه وأحزنته، فالفرق دقيق يتمثل في معنى الجعل في (أَفْعَل).

وأكد المعنى ذاته الفراء، قال: "وقوله: ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ [النحل ٦٦]، العرب تقول لكل ما كان من بطون الأنعام ومن السماء أو نهر يجري لقوم: أسقيت، فإذا أسقاك الرجل ماءً لشفتك قالوا سقاه، ولم يقولوا أسقاه، كما قال الله عز وجل: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان ٢١]، وقال: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي﴾ [الشعراء ٧٩]"^(٢).

وهذا التفريق لا يمنع من أنهما استُعِمِلَا استعمالاً واحداً كما أشرت لهذه المسألة في بداية هذا المبحث، قال الفراء: "وربما قالوا لما في بطون الأنعام ولماء السماء سقى وأسقى، كما قال لبيد: [وافر]

سقى قومي بني مجدٍ وأسقى
ثُميراً والقبائل من هلال"^(٣)

ونقل الطبري عن الكسائي أَنَّ العربَ تقول: "أسقيناهم نهراً وأسقيناهم لبناً: إذا جعلته شرباً دائماً، فإذا أرادوا أَنَّهُم أعطوه شربةً قالوا: سقيناهم، فنحن نسقيهم بغير ألف"^(٤)، ثم أشار إلى تداخل المعنيين في الاستعمال قال: "والعرب قد تدخل الألف

(١) انظر: شرح الرضي على الشافية ج ١، ص ٨٧.

(٢) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ، ٨٢٢ م) معاني القرآن، ٣، ج، عالم الكتب، ط ٣، بيروت، ١٩٨٣ م، ج ٢، ص ١٠٨.

(٣) السابق، وانظر: شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: إحسان عباس، التراث العربي، سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، رقم ٨، ١٩٦٢ م، ص ٩٣.

(٤) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ، ٩٢٢ م)، جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٤ ج، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠ م، ج ١٧، ص ٢٣٧.

فيما كان من السقي غير دائم وتترعها فيما كان دائماً، وإن كان أشهر الكلامين عندها ما قال الكسائي^(١).

وما تقدّم يؤيد معنى الجعل والصورورة في أسقى، ولا يوجد هذا المعنى في سقى؛ لأنّ سقى: ناوله ماءً ليشرب، على حين أنّ أسقى: جعلهم مسقيين على الدوام، أو صاروا ذوي سقى.

وقد تتبّع أحد الدارسين (سقى وأسقى) في القرآن الكريم فأقرّ الفرق السابق^(٢).

٥ - كَنَ وَأَكَنَ:

يفرق أهل اللغة بين كَنَ وَأَكَنَ على أنّ كَنَ ستر بشيء وصانَ، وأَكَنَ: أخفاه في نفسه، فأكننت كأضمرت، وكنتت كستر^(٣)، وهو تفريق يؤيد معنى الصورورة والجعل في أفعل (أَكَنَ)؛ لأنّ كَنَ حفظ ابتداءً وصانَ، وكان في المحسوسات والماديّات، كقوله تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ لَوْلُو مَكْنُونٌ﴾ [الطور ٢٤] وأَكَنَ: صيره إلى الحفظ والصون والإخفاء، نحو: أكننت الحديث في نفسي، قال تعالى: ﴿أَوْ أَكْنُتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ [البقرة ٢٣٥] وقال جلّ ثناؤه: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [القصص ٦٩]، ولعلّ انتقال المعنى من المحسوسات إلى المعنويّات كحديث النفس وغيره ناسبه صيغة أفعل لمعنى الصورورة فيها، فكان سَتَرَ الحديث في النفس وما شابه: صَيَّرَهُ ذَا كَنٍّ وَذَا حِفْظٍ، نقل الزمخشريّ عن الفراء: "أكننت الشيء إذا جعلته في كَنٍّ، كما يُقال أغلفه إذا جعله في غلاف"^(٤)، ولم تسلم هاتان الصيغتان من التوسع الاستعماليّ الذي جعلهما في معنى واحد في بعض البيئات

(١) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١٧، ص ٢٣٧.

(٢) انظر: فريد الزامل السليم، الخلاف التصريفيّ وأثره في القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، ط ١، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـ، ص ١٠٢، ١٠٣.

(٣) انظر: السجستاني، فعلت وأفعلت، ص ٨٢، ابن جني، المحتسب، ج ٢، ص ١٤٤، الزمخشري، شرح الفصح، ج ١، ص ٤١٩.

(٤) الزمخشري، شرح الفصح، ج ١، ص ٤١٩.

اللغويّة، إذ أشار السجستاني أنّه سمع أبا زيد يقول: "أهل نجد يقولون: أكننت اللؤلؤة والجارية فهي مُكَنَّة، وكننت الحديث، وكلُّ صواب، وكان يُتَّسَع في اللغات حتى ربّما جاء بالشئ الضعيف فيجري ذلك مجرى القوي" (١).

٦- سرى وأسرى:

ذكر بعض اللغويين أنّ سرّيت بالقوم وأسريت بهم لغتان (٢)، قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَنْ أَسْرَ بِعَبَادِي﴾ [طه ٧٧] بقطع الألف، وقد وصل بعضهم الألف، وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء ١] بلا اختلاف في القراءات، وقال امرؤ القيس: [الطويل]

سرّيت بهم حتى تكلّ مطيهم وحتى الجياد ما يُقَدّن بأرسان (٣)

وقال النابغة: [البسيط]

أسرّت عليه من الجوزاء سارية تزجي الشمال عليه جامد البرد (٤)

وباستثناء آية الإسراء فإن بقيّة الشواهد يصعب نفي ترادف فعلاً وأفعل فيها، وهو ترادف كما ذكرت مراراً استعماليّ، وإلاّ فالأصل أن أسرى فيها جعل وصيرورة، فسرى: باشر فعّل السرى، مثل ذهب وانطلق، وأسرى: صار ذا سرى، يؤيد ذلك أنّ (سرى به) أكثر ما تُستعمل للمصاحبة، مثل ذهب به،

وجاء به، في حين أن (أسرى به) فيها معنى الجعل والصيرورة، ولا يلزم منها المصاحبة، فهي على معنى: جعله يسري كما في الآية، وقد ساوى أبو حيّان بين

(١) السجستاني، فعلت وأفعلت، ص ٨٢.

(٢) انظر: السابق، ٩٣.

(٣) ديوان امرؤ القيس، ج ٢، ص ٤٩٦، كذا البيت في كثير من المظان، و صدره في الديوان:

مطوت بهم حتى تكلّ غرائثهم.

(٤) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (سلسلة ذخائر العرب ٥٢)، ط ٢، دار المعارف بمصر، ص ١٨.

سرى وأسرى في آية الإسراء، ونفى أن تكون الهمزة للتعدية، ونفى أيضاً لزوم المشاركة من تعديته بالباء، قال والمعنى: جعله يسري^(١).

وقد انتهى أبو حيان كما ترى إلى ما ذكرته قبل قليل من معنى الجعل والضرورة في أفعل التي هي هنا أسرى.

٧- عال، أعال:

ذكرت طائفة من علماء العربية منهم ابن الأعرابي والكسائي وأبو عمرو الدوري أن العرب تقول: عال يعول، وأعال يعيل، أي كثر عياله^(٢)، وقد توارد كثير من النحاة على أن أعال: كثر عياله دون عال التي تعني فيما تعني افتقر، وقد أنكر الشوكاني أن تكون عال بمعنى كثر عياله، قال: "وأما عال بمعنى كثر عياله فلا يصح"^(٣)، وذكر أكثر العلماء أن أعال على معنى كثر عياله^(٤)، وذكر الطاهر بن عاشور أن معنى كثر عياله في عال ليس صريحاً، لأنه لا يقال عال بمعنى كثر عياله، وإنما يقال أعال^(٥)، وفرق الراغب بينهما بأن عال: افتقر، وأما أعال إذا كثر عياله^(٦).

وخلاصة ما سبق أن معنى الضرورة في أعال على معنى كثر عياله لا يحتاج إلى دليل. فأعال: صار ذا عيال، قاله الأخفش^(٧)، وهذا الأصل ثم أخذ

(١) أبو حيان، البحر المحيط، ج ٧، ص ٧.

(٢) انظر السابق، ج ٣، ص ٥٠٩.

(٣) محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ، ١٨٣٤ م) فتح القدير، ج ٦، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط ١، دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ، ج ١، ص ٤٨٤.

(٤) انظر مثلاً: الأخفش، معاني القرآن، ج ١، ص ٣٠٦، الزمخشري، الكشاف ج ١، ص ٤٦٩، أبو حيان، البحر المحيط، ج ٣، ص ٥١.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٤، ص ٢٢٨.

(٦) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ٥٩٧ (عيل).

(٧) الجوهري، الصحاح، ج ٥، ص ١٧٨٠.

معنى الكثرة استعمالاً، وما ذكره بعضهم من ترادف (عال) بمعنى افتقر مع (أعال) بمعنى كثر عياله استعمالاً جاء من ربطهم بين الفقر وكثرة العيال.

٨- صاب وأصاب:

قال الزجاج: "صاب السهم وأصاب إذا وقع في الرمية"^(١)، وفرّق السجستاني بينهما بأنّ صاب: تدلّى عليه من فوق، وأصاب: قصد حتى صار في الهدف"^(٢)، وذكر ابن دريد أنّ صاب إذا جاء من علٍ"^(٣)، وقال الطبري: "صاب المطر يصوب صوباً، إذا انحدر ونزل، كما قال الشاعر:

فلستُ لإنسيّ ولكن لملائكٍ تنزّل من جوّ السماء يصوبُ"^(٤)

ومنه قيل للمطر صيّب إذا انحطّ من علٍ إلى سفلى"^(٥)، وقال ابن عطية (٥٤٢هـ، ١١٤٧م): "ويشبه أن يكون أصاب مُعدّى صاب يصوب"^(٦).

وإشارة ابن عطية السابقة تفسّر وتؤيّد معنى الجعل والصيرورة في أصاب، فصاب انحطّ وتدلّى أمّا أصاب فجعله مُنحطّاً وقاصداً، ومنه جاء معنى الإصابية، أمّا ترادفهما فهو استعماليّ ليس غيّر، كقول بشر بن حازم:

(١) الزجاج، فعلت وأفعلت، ص ٩٤، وانظر الجوهريّ، الصحاح، ج ١، ص ١٦٥ (صوب).

(٢) السجستانيّ، فعلت وأفعلت، ص ١٢١.

(٣) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج ٣، ص ١٢٦٢.

(٤) تفسير الطبريّ ج ١، ص ٣١٣. وانظر: وليد السراقي، شعر أبي وجزة السعدي، مجلة معهد المخطوطات العربية، معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) مج ٣٤، الجزء ١، ٢/ يناير ١٩٩٠م، ص ٧٢، ونُسيب لغيره في بعض المصادر.

(٥) أبو محمد عبدالحق بن غالب ابن عطية (٥٤٢هـ، ١١٤٧م)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٦، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافى محمد، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤٢٢هـ، ج ١، ص ١٠١.

(٦) تفسير ابن عطية ج ٤، ص ٥٠٦.

تُؤمِّل أن أووب لها بنهبٍ ولم، تعلم بأنَّ السهمَ صاباً^(١)

وإن فسره ابن دريد بأنه أراد تدلَّى وانحطَّ عليه من علٍ^(٢).

٥. المعنى الصرفي لِـ(أَفْعَلَ) هو الجعل والصيرورة ليس غيرُ:

يتبيّن ممّا سبق أنّ المعنى الصرفي الأساسي الوحيد لصيغة أَفْعَلَ هو الجعل والصيرورة، كما بيّنت من خلال مناقشة مذاهب القدماء والمحدثين فيما سبق، وهو معنى لم يُعْطَ له من أشار إلى معاني أَفْعَلَ، ولكنهم لم يجعلوه معنى رئيساً وحيداً للصيغة، بل جعلوه ومعاني آخر مشتقة منه سواء، وقد بالغوا في تعديد المعاني وتكثيرها، وكلّها في الحقيقة إلى هذا المعنى.

وقد تقدّم أنّ بعض النحاة مثل سيبويه والرضي كان يلمس هذا المعنى الأساسي بوضوح، وأنّه أدار كثيراً من استعمالات أَفْعَلَ عليه، ولكنهم لم ينصّوا على أنّه معنى أساسي لا تؤدي أَفْعَلَ غيره، بل جعلوا معه معاني آخر.

وقد بدرت إشارات من بعض العلماء إلى الصلة الوثيقة بين هذه الصيغة ومعنى الجعل والصيرورة، كإشارة ابن درستويه الذي ربط بين همزة أَفْعَلَ وهذا المعنى^(٣)، غير أنّ ظاهر عبارته لا يشير إلى أنّه المعنى الوحيد.

والناظر في نصّ ابن درستويه وهو يفرّق بين فَعَلَ وَأَفْعَلَ في بعض الأفعال يجده أنّه أقام تفريقه على معنى الجعل والصيرورة الذي في أَفْعَلَ: "وأما قوله: أغلقت الباب، فهو مُغْلَق، وأقفلته فهو مُقْفَل فإنّ قوله: أغلقت فإنّ معناه شَدَدْتُهُ بِالْمُغْلَق، وأوثقته وأرتجته، وأما أقفلت فمعناه أوثقته بِالْمُقْفَل، والعامّة تقولهما جميعاً

(١) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق: عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، وزارة الثقافة السورية، دمشق ١٩٦٠م، ص ٢٥.

(٢) انظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، ج ٢، ص ١٢٦٢.

(٣) انظر: ابن درستويه، تصحيح الفصيح، ص ١٢٥.

بغير ألف وهو خطأ... وإنما كان على أَفْعَلَ لأنه بمعنى أوثقت، وأحكمت وأوصدت وأرتجت، أي جعلت عليه الغَلَقَ والغُلُقَ، ومعناها راجع إلى قولهم: غَلِقَ الشيءُ يَغْلِقُ غَلْقًا، وأغلقه غيره إغلاقًا^(١).

وقال ابن جنِّي في قراءة (أَزَيَّنْتُ)^(٢): "صارَت إلى الزينة بالنبت، ومثله من أَفْعَلَ أي: صار إلى كذا، أَجْدَع المُهَرَّ صار إلى الإجذاع، أحصد الزرع... صار إلى الحصاد"^(٣)، وقال السلسلي: "وهمزة أَفْعَلَ للصيرورة، بمعنى تحوّل فاعله صاحب كذا، فأصل: أحسن يزيد: أحسن زيدًا، أي صار ذا حُسْنٍ تامٍّ، كالمعنى في قولهم: أترب الرجل إذا صار ذا مال كالتراب"^(٤)، وفي الإتحاف: "أَزَفَ الظلِيمُ... دخل في الزيف وهو الإسراع، فالهمزة ليست للتعدية"^(٥)، وفي الكشف: "من أخذله: إذا جعله مخذولاً"^(٦)، وقال الزمخشري في مصنّف آخر: "أضاق الرجلُ يعني صار إلى الضيق، وكذلك أَعَسَرَ صار إلى العُسْر، وهذا قياسٌ مستتبٌ واعتبار مطّرد، يقولون: أجبل الرجل إذا صار إلى الجبل وأسهل..."^(٧)، وفي البحر: "قرأ عبيد بن عمير (يُخَذِّلُكم) من أَخَذَلَ رباعيًا، والهمزة فيه للجعل، أي يجعلكم"^(٨)، وقال الجواليقي عند ذكره لبنت المخبّل السعدي:

(١) انظر: ابن درستويه، تصحيح الفصيح، ص ١٦٠.

(٢) هي قراءة الأعرج ونصر ابن عاصم وجماعة، انظر: المحتسب، ج ١، ص ٣١١.

(٣) ابن جنِّي، المحتسب، ج ١، ص ٣١١.

(٤) أبو عبدالله محمد بن عيسى السلسلي (ت ٨٧٧٠ هـ، ١٣٦٨ م) شفاء العليل في إيضاح التسهيل، ج ٣،

تحقيق: عبدالله علي الحسيني البركاتي، المكتبة الفيصلية، ط ١، مكة المكرمة، ١٩٨٦ م، ج ٢، ص ٦٠٢.

وصار ذا مال كالتراب: كناية عن الغنى، وكثرة المال، وجاء في بعض المصادر: أترب: بمعنى افتقر.

(٥) أحمد بن محمد البنا (١١١٧ هـ، ١٧٠٥ م)، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تحقيق: شعبان

محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية، ط ١، القاهرة، ١٩٨٧ م، ج ٢، ص ٤١٢.

(٦) الزمخشري، الكشف، ج ١، ص ٤٣٣.

(٧) الزمخشري، شرح الفصيح للزمخشري، ج ١، ص ٣٩٤.

(٨) أبو حيّان، البحر المحيط، ج ٣، ص ٤١١، ٤١٢.

تمنى حُصَيْنٌ أن يسودَ جِذاعُه فأمسى حُصَيْنٌ قد أذلَّ وأقهر^(١)

"... ويروى: قد أذلَّ وأقهرًا، أي صار إلى الذلِّ والقهر"^(٢).

فكلُّ النصوص المتقدمة تُبين أنَّ القدماء لامسوا معنى الجعل والصورورة في صيغة أفعَلَ، وقد نصّوا عليه كما تقدّم، ولكنهم لم يعدّوه معنىً أساسيًا وحيدًا لهذه الصيغة، وخطّوه بمعانٍ نحويّة كالتعدية الّتي هي نتيجة له، أو فرّعوا منه معاني أُخر هي في حقيقتها تؤوّل إلى الصورورة والجعل، كالدخول في الزمان والمكان وغيرها مما بينت.

وقد آنسَ بعض المستشرقين هذا المعنى، فربطوا بين الهمزة في أفعَلَ ومعنى السببية في الساميات^(٣)، ومنها العربيّة، ولا يخفى ما بين السببية الّتي ذكروها والجعل والصورورة من علاقة.

(١) انظر: حاتم الضامن، (المخبل السعدي حياته وما تبقى من شعره)، مجلة المورد، العراق، ١٩٧٣م، المجلّد ٢، عدد ١، ص ١٢٥.

(٢) أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (٥٤٠هـ، ١١٤٥م)، شرح أدب الكاتب، تحقيق: طيبة حمد بودي، مطبوعات جامعة الكويت، ط ١، ١٩٩٥م، ص ٢٦٠.

(٣) انظر: سباتينو موسكاتي، ادفارد أولندورف، أنطون شينلر، فلرام فون زودن، مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ترجمه وقدم له: مهدي المخزومي، عبد الجبار المطلبي، عالم الكتب، ط ١، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٢١٣، ٢١٤.

قائمة المصادر والمراجع

- أبو أوس إبراهيم الشَّمسَان، أبْنِيَّةُ الْفِعْلِ دَلَالَتُهَا وَعِلَاقَاتُهَا، دارُ المَدْنِي، ط١، جَدَّة، ١٩٨٧م.
- أبو حِيَان مُحَمَّد بن يُوْسُف الأَنْدَلُسِي (ت ٧٤٥هـ، ١٣٤٤م)، الْبَحْرُ الْمَحِيطُ فِي التَّفْسِيرِ، ٨ج، تَحْقِيق: صَدْقِي مُحَمَّد جَمِيل، دارُ الْفِكْرِ، بِيْرُوْت، ١٤٢٠هـ.
- أبو عُبَيْد الْقَاسِم بن سَلَام (ت ٢٢٤هـ، ٨٣٨م)، الْغَرِيبُ الْمُصَنَّفُ، ٢ج، تَحْقِيق: د. مُحَمَّد الْمُخْتَار الْعَبِيدِي، الْمَجْمَعُ التُّونِسِي لِلْأَدَابِ وَالْعُلُومِ وَالْفَنُونِ، دارُ سَحْنُونِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، ط٢، تُونِس، ١٩٩٦م.
- أَحْمَد بن مُحَمَّد الْبَنَّا (ت ١١١٧هـ، ١٧٠٥م)، إِتْحَافُ فَضْلَاءِ الْبَشَرِ بِالْقُرْآنِ الْأَرْبَعَةِ عَشَرَ، تَحْقِيق: شُعْبَان مُحَمَّد إِسْمَاعِيل، عَالَمُ الْكُتُبِ، بِيْرُوْت، مَكْتَبَةُ الْكَلِمَاتِ الْأَزْهَرِيَّةِ، ط١، الْقَاهِرَةُ، ١٩٨٧م.
- أَحْمَد عِلْمُ الدِّينِ الْجَنْدِي، اللَّهْجَاتُ الْعَرَبِيَّةُ فِي التَّرَاثِ، الدَّارُ الْعَرَبِيَّةُ لِلْكِتَابِ، ١٩٨٣م.
- الْأَخْفَشُ الْأَوْسَطُ سَعِيد بن مَسْعُودَ (ت ٢١٥هـ، ٨٣٠م)، مَعَانِي الْقُرْآنِ، ٢ج، تَحْقِيق: هَدَى مُحَمَّد قِرَاعَةَ، مَكْتَبَةُ الْخَانَجِي، ط١، الْقَاهِرَةُ، ١٩٩٠م.
- الْبَاهِلِيُّ، أَبُو نَصْرٍ أَحْمَد بن حَاتِمٍ (ت ٢٣١هـ، ٨٤٥م)، شَرْحُ دِيْوَانِ ذِي الرِّمَّةِ غِيْلَان بن عَقْبَةَ، رَوَايَةُ الْإِمَامِ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبِ، ٣ج، تَحْقِيق: عَبْدَالْقُدُوسُ أَبُو صَالِحٍ، مَوْسَسَةُ الْإِيْمَانِ لِلطَّبْعِ وَالنَّشْرِ، ط١، بِيْرُوْت، ١٩٨٢م.

- ابن الجبّان، أبو منصور محمد بن علي (ت ٤١٦هـ، ١٢٥م)، شرح الفصيح في اللغة، تحقيق: عبد الجبار جعفر القزاز، تقديم إبراهيم الوائلي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٩١م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ، ١٠٠١م)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ٢ج، تحقيق: علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤م.
- المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، ج١، دار إحياء التراث القديم، الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ، ٩٣١م) جمهرة اللغة، ٣ج، تحقيق رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، ط ١، بيروت، ١٩٨٧م.
- ابن درستويه، أبو محمد عبد الله بن جعفر (ت ٣٣٧هـ، ٩٤٨م)، تصحيح الفصيح، تحقيق: محمد بدوي المختون، مراجعة: رمضان عبدالنواب، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٨م.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ، ١٠٦٥م)، المخصص، ١٧ج، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي (ت ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م)، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، ٣٠ج، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤م.

- ابن عصفور، علي بن مؤمن (ت ٦٦٩هـ، ١٢٧٠م)، الممتع الكبير في التصريف، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
- ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبدالحق بن غالب (ت ٥٤٢هـ، ١١٤٧م)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٦ج، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافى محمد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- ابن فارس، أحمد (ت ٣٩٥هـ، ١٠٠٤م)، معجم مقاييس اللغة، ٦ج، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ، ٨٨٩م) أدب الكاتب، ج١، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بلا تاريخ نشر.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ، ١٣١١م) لسان العرب، ١٥ج، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ.
- ابن يعيش، موفّق الدين يعيش بن علي (ت ٦٤٣هـ، ١٢٤٥م)، شرح المفصل، ١٠ج، عالم الكتب، بيروت.
- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني (ت ٢٩١هـ، ٩٠٣م) شرح شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة هارون الرشيد ط ٣، دمشق، سوريا، ٢٠٠٨م.
- الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد (ت ٥٤٠هـ، ١١٤٥م)، شرح أدب الكاتب، تحقيق: طيبة حمد بودي، مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٩٩٥م.
- ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد، تحقيق: ماجد الذهبي، دار الفكر، ١٩٨٢م.

- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ، ١٠٠٢م) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٧ج، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين ط٤، بيروت، ١٩٨٧م.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله ، معجم البلدان، ٥ مجلدات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.
- خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، منشورات مكتبة النهضة، ط١، بغداد، ١٩٦٥م.
- ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح وتعليق: محمد حسين، مكتبة الآداب.
- ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم، دار صادر، ط ٣، بيروت، ١٩٧٩م.
- ديوان الشنفرى، جمع وشرح وتحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت، ١٩٩٦م.
- ديوان عبيد بن الأبرص، شرح أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب اللبناني، ط١، بيروت، ١٩٩٤م.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ، ١١٠٨م)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، ط١، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٢هـ.
- الزبيدي، محمد بن محمد الملقب بمرتضى (ت ١٢٠٥هـ، ١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، ٤٠ج، تحقيق: عبدالستار أحمد فزّاج ومجموعة من المحققين، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٥م.

- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (ت ٣١١هـ، ٩٢٣م)، معاني القرآن وإعرابه، ٥ ج، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط ١، بيروت، ١٩٨٨م.
- فعلت وأفعلت، تحقيق: رمضان عبدالنواب، وصبيح التميمي، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٥م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (ت ٥٣٨هـ، ١١٤٣م)، أساس البلاغة، ٢ ج، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت.
- شرح الفصيح، ٢ ج، تحقيق: إبراهيم الغامدي، المملكة العربية السعودية، ١٤١٧هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ٤ ج، دار الكتاب العربي، ط ٣، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- الاسترأبادي، رضي الدين محمد بن الحسن (ت ٦٨٦هـ، ١٢٨٧م)، شرح شافية ابن الحاجب، ٤ ج، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.
- السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد (ت ٢٥٥هـ، ٨٦٨م)، فعلت وأفعلت، تحقيق: إبراهيم خليل العطية، دار صادر، ط ٢، بيروت، ١٩٩٦م.
- السكرّي، أبو سعيد الحسن بن الحسين (ت ٢٧٥هـ)، شرح ديوان امرئ القيس وملحقاته، ٣ ج، دراسة وتحقيق: أنور أبو سويلم، محمد الشوابكة، إصدار مركز زايد للتراث والتاريخ، ط ١، دولة الإمارات، ٢٠٠٠م.

- السلسلي، أبو عبدالله محمد بن عيسى (ت ٧٧٠هـ، ١٣٦٨م) شفاء العليل في إيضاح التسهيل، ٣ ج، تحقيق: عبدالله علي الحسيني البركاتي، المكتبة الفيصلية، ط ١، مكة المكرمة، ١٩٨٦م.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت ١٨٠ هـ، ٧٩٦م)، الكتاب، ٥ ج، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، ط ٣، القاهرة، ١٩٨٨م.
- السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبدالله (ت ٣٦٨ هـ، ٩٧٨م)، شرح كتاب سيبويه، ٥ ج، تحقيق: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٨م.
- شرح ديوان ليبد بن ربيعة العامري، تحقيق: إحسان عباس، التراث العربي، سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، رقم ٨، ١٩٦٢م.
- الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ، ١٨٣٤م) فتح القدير، ٦ ج، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط ١، دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ.
- ضاحي عبدالباقي، لغة تميم دراسة تاريخية وصفية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٥م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ، ٩٢٢م)، جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٤ ج، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠م.
- عصام نور الدين، أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب - دراسات لسانية ولغوية، دار الفكر اللبناني، ط ١، بيروت، ١٩٩٧م.

- العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين (ت ٦١٦هـ، ١٢١٩م)، شرح ديوان المتنبي، ٤ج، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت.
- الغياث الطفيري، لطف الله بن محمد (١٠٣٥هـ، ١٦٢٥م)، المناهل الصافية إلى كشف معاني الشافية، ٢ج، تحقيق: عبدالرحمن محمد شاهين.
- الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم (ت ٣٥٠هـ، ٩٦١م)، معجم ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ، ٨٢٢م) معاني القرآن، ٣ج، عالم الكتب، ط٣، بيروت، ١٩٨٣م.
- الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ، ٧٨٦م)، كتاب العين، ٨ج، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- فريد الزامل السليم، الخلاف التصريفي وأثره في القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، ط١، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـ.
- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ، ١٢٧٢م) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ٢٠ج، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٦٤م.
- القيسي، أبو علي الحسن بن عبدالله (ق ٦هـ، ق ١٢م)، إيضاح شواهد الإيضاح، ٢ج، تحقيق: محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٨٧م.

- الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني (ت ١٠٩٤هـ، ١٦٨٣م) **الكليّات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، ج١، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- موسكاتي، سباتينو، ادفارد أولندورف، أنطون شيتلر، فلرام فون زودن، **مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن**، ترجمه وقدم له: مهدي المخزومي، عبدالجبار المطلبي، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٩٩٣م.
- نجا الكوفي، **أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.
- النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت ٣٣٨هـ، ٩٤٩م) **إعراب القرآن**، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط٢، ١٩٨٥م.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ، ١٢٧٧م)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ج١٨، دار إحياء التراث العربي، ط٢، بيروت، ١٣٩٢هـ.
- هاشم طه شلاش، **أوزان الفعل ومعانيها**، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧١م.
- وليم بن الورد البروسي (ت ١٣٢٧هـ، ١٩٠٩م)، **مجموع أشعار العرب**، وهو مشتمل على ديوان رؤية بن العجاج، وعلى أبيات مفردة منسوبة إليه، دار ابن قتيبة، الكويت.
- يحيى الجبوري، **قصائد جاهلية نادرة**، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت ١٩٨٨م.